السنة الثالثة العدد ٣٦

أنصار النبي ﷺ

مايو ٢٠٢٥ ذو القعدة ١٤٤٦

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ
International Organization Of Sopporters Of The Prophet

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطَّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي ﷺ

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد

الشيخ الحويني والكلام في السياسة ٧
د. محمد الصغير

الخديعة العظمى ١٣
محمد إلهامي

لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ٢٥
د. حسين عبد العال

خذلانكم لن يضرنا ٣٣
الشيخ حسن الخطيب

الخط العربي تحت القصف ٤٦
حوار: د. عبد السلام البسيوني

وجوب جهاد الدفع والرد على المحرفين ٥٨
الشيخ المختار بن العربي مؤمن

هل ننتصر رغم الذنوب؟ ٧١
الشيخ محمد بن محمد الأسطل

سلاحنا كرامتنا ٨١
عماد إبراهيم

الأرض المقدسة محور الصراع (١) ٨٩
عبد القادر مهدي أبو سنيج

ثلاثية الأبطال (٢) ٩٦
د. أحمد شتيوي

فضل الرباط في غزة ١٠٥
الشيخ عماد المبيض

سفراء الهيئة العالمية لأنصار النبي

لا يكون التمكين إلا باتخاذ أسبابه ١٠٩
الشيخ جلال الدين حمصي

القرآن أكبر دليل على نبوة محمد ﷺ ١١٦
أ. د جمال بن عمار الأحمر الأنصاري

منهج حركي لدراسة السيرة (٣) ١٢٢
أ.د خير الدين خوجة

العلم والرّحمة في حياة الحويني ١٢٩
الشيخ حسن شبّاني

أئمة الهدى

«من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين»

١٤٣ بيان للناس من كبار علماء الأزهر
مجموعة من العلماء

١٤٨ علماء الجامع الأزهر: إنقاذ فلسطين واجب ديني
مجموعة من العلماء

١٥١ فتوى الأزهر الشريف حول إسرائيل
لجنة الفتوى بالجامع الأزهر

١٥٩ تحريم بيع فلسطين
لجنة الفتوى بالجامع الأزهر

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

١٦٦ رحلة مع جُند الله المُقربين
د. محمد موسى الشريف

١٧٨ هكذا يقول رب الجنود
م. خالد حربي

١٨٤ الثبات على الحق أول النصر
د. عبد الرحمن البر

١٩٠ حسن البنا شهيد فلسطين
أ.د رشاد البيومي

١٩٤ من دروس التضحية والثبات
د. علي بن عمر بادحدح

٢٠٢ قوة وثبات المسلمين يوم كنا عظماء
الشيخ خالد الراشد

بريد القراء

٢١٠ لو كان النبي بيننا
ملهم إبراهيم

٢١٤ السيادة الجماعية أم الهيمنة
علي جاد المولى

رئيس الهيئة د. محمد الصغير
رئيس التحرير محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

أنصار

أكاديمية أنصار النبي ﷺ

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير
رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الشيخ د.عبدالحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

+90 536 491 13 74
@ansaracademy_

مركز

القبة الخضراء
لحفظ السنة النبوية

المشرف العام على المركز:

أحمد الحسني الشنقيطي

للتسجيل

د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الافتتاحية

الشيخ الحويني والكلام في السياسة

لا يخلو زمن من قائم لله بحجةٍ، ويرفع رايةَ العلم من كل خلَف عُدولُه، يَنفون عنه تحريفَ الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وهذا ما جعل الإمام المبجّل أحمد بن حنبل يُذكر في سياق واحد مع الخليفة الأول وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فقالوا: «إن الله تدارك الإسلام برجلين: بأبي بكر في الرِّدة، وأحمد في المحنة». حتى أصبح وصف إمام أهل السنة والجماعة إذا أُطلق انصرف إليه، مع أن مَن حملوا هذا الوصف قبله وبعده لا يُحصون عدداً، لكن موقفه الثابت ضد العمل على تغيير العقيدة والثوابت.. جعله قدوةً ومثلاً للذين ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

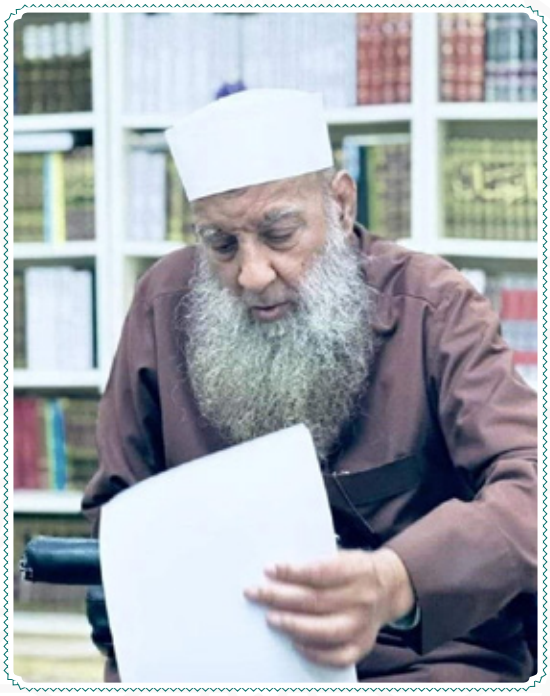

والعادة في مواقف العلماء من الصدع بالحق ونفي الظلم، والوقوف في وجه الاستبداد ومجابهة الطواغيت أنهم على ثلاثة أقسام:

الأول: أهل الحق الذين انتصبوا له وعُرفوا به.

الثاني: مَن انخرط في موكب الباطل، أو ساير الرَّكب.

الثالث: مَن ضعفَ عن قول الحق، أو لم يتحمل تبعاته، لكنه لا يقبل الباطل ولا يصفق له.

هذه الأصناف الثلاثة أُضيفَ إليها ضلعٌ رابعٌ، جمَع المتوسط من الأول والثالث، وتبدّى ذلك عندي لما كتبت عن فضيلة الشيخ المحدث أبي إسحاق الحويني بعد وفاته رحمه الله سلسلة مقالات، نُشرت في نوافذ أخرى تحت عنوان: الحويني نسيج وحده:

١- الحويني بين الأزهريين والسلفيين

٢- الحويني في ميزان الشيخ كشك

٣- الحويني والشيخ المشناوي في سوهاج

٤- الحويني في الغربة وبركة الصحبة

واكب هذه المقالات صدور فتوى علماء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عن وجوب الجهاد على الجيوش والحكومات نصرة لفلسطين، ودفعاً للعدوان عن أهل غزة، كما يتحتم الواجب على كل مسلم مستطيع، وهذا أوقع بعض الأنظمة في حرج، فألقوا حبالهم وعصيهم وأزوا أتباعهم من أصحاب العمائم المزورة واللحى المستأجرة، للشغب على فتوى العلماء، وبداية حملة للطعن في المجاهدين والمرابطين، وهنا انقسم الناس إلى فسطاطين، وبرز سؤال: إلى أي الفريقين ينتمي الشيخ الحويني؟

وإجابة السؤال تظهر من ردّ كلام الشيخ عن سؤال حول رأيه في (حماس) ومَن يشغبون عليها من المبتدعة و(المدخلية)؛ فقال:

«إخواننا في (حماس) جماعة سنيّة لا إشكال فيها، والذين يشوهون صورة (حماس) المداخلة المُبتدعة المخذّلة فلا تسمعوا لهم، ونسأل الله أن يبارك بـ(حماس) وأن ينصرهم». ا.هـ

وهذا يأخذنا إلى موقف الشيخ الحويني من الموضوعات السياسية، والقضايا العامة بصفة عامة، وهذا ما بدأت به حديثي، وهو أن الشيخ خط لنفسه خطاً جديداً فريداً، كان ملتزماً به وحريصاً عليه، وهو أنه لا يؤخر البيان عن وقت حاجة الناس إليه ما دام متعيناً عليه، ولا ينكل عن قول الحق، ولا يتردد في فضح الباطل وكشف الزيف، وله مطالعة يومية، واطلاع دائم على قضايا الأمة، وأحوال المسلمين جميعاً، ويرى أن هذا من أخص واجبات العالم، لكن الحديث عنها والتصدر لها وبيان ما فيها، هو وظيفة المتخصصين والمتفرغين لهذا الشأن، وقال لي يوماً: «يريدونني أن أصبح محللاً سياسياً، وأعلّق على كل حادثة؟ وأنا لا أجيد ذلك، ولست مختصاً فيه، فإني لا أحسن الكلام إلا حول روينا وحدثنا، ثم أليس الناس ينكرون على بعض العلماء والدعاة استغراقهم في الشأن السياسي وكبواتهم في هذا الطريق، وكيف أن المنابر السياسية زحزحتهم عن منابرهم الدعوية والتربوية، وبعضهم أصبح لا تفرق بينه وبين المسحراتي»؟!

لذا رأينا الشيخ الحويني عالي الصوت واضح البيان، في الردّ على قضايا سياسية كبرى، كانت متعينة عليه وحده، ومن ذلك عندما استشهد به (السيسي) في خطاباته الأولى بعد انقلابه العسكري، وذكر الشيخ الحويني بالاسم وأنه يجلّه ويحترمه، وافترى واقعة معناها أن الشيخ الحويني استشاره في ترشيح أحد السلفيين لانتخابات رئاسة الجمهورية، وأن (السيسي) نصح بعدم فائدة ذلك ورفض التفكير فيه، وأن الحويني شكره على ذلك، فما كان من الشيخ الحويني إلا أنه كذب هذه الرواية المختلَقة، ونفى صحتها وأنها موضوعة على لسانه، فعل هذا وهو داخل مصر، والعساكر يسنّون أسنانهم للفتك بأي مخالف.

ثم جاء الردّ الأكبر والمفاصلة الواضحة بعد دعوة (السيسي) لجماهير المصريين، للنزول للميادين لتفويضه في الحرب على ما سماه «العنف والإرهاب»، فأصدر الشيخ الحويني بياناً رفض فيه بيان (السيسي)، وطالبه بعدم التورط في سفك دماء المصريين.

وحمل البيان عنوان «هذه كلمتي في أحداث مصر الجِسام»، أعرب فيه الشيخ عن «فزعه الشديد» من دعوة (السيسي)، ووصفها بأنها «أمر منكر لا يجوز شرعاً ولا عُرفاً»، وقد يؤدي إلى حرب أهلية، وسفك للدماء المحرمة.

ونصح الحويني في بيانه وزير الدفاع وقتئذ، بألا يتورط في دماء الشعب كما فعل أبو مسلم الخراساني، الذي قتل أكثر من مائة ألف نفس لتوطيد ملك الدولة العباسية على جماجم بني أمية وعوام الناس الذين ليس لهم مذهب سياسي.

واختتم الشيخ بيانه بتوجيه دعوة للسيسي جاء فيها: «لا تتورط في هذا واذكر مقامك بين يدي الله تعالى وحيداً ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١]، فالخلاف السياسي لا ينهيه سفك الدماء، بل قد يجر البلاد إلى فوضى عارمة وبحر من الدماء لا يعلم إلا الله تعالى مآله».

وعندما دعا النظام المصري للاستفتاء على دستور جديد، رفض الشيخ الحويني الدعوة ودعا إلى المقاطعة، في رفض واضح لكل ما ترتب على انقلاب ٣ يوليو.

ومع اشتداد المرض على الشيخ سافر إلى قطر للعلاج، وكانت حالته متأخرة جداً، فوجد فيها رعاية متكاملة وأنس بأهلها، وهاجر إليها بأهله وولده، وهنا عدّ النظام المصري صنيعه هذا انحيازاً للطرف الآخر، ثم شاركت مصر في حصار قطر مما عمق الهُوّة بين البلدين، وحان لأجهزة الأمن المصرية فرصة الانتقام من الشيخ الحويني، فاعتقلوا نجله «همام» الذي ترتيبه الرابع بين إخوانه الذكور، وذلك عقب زواجه في مصر ببضعة أيام، وكل من يعرف همام يشهد له بحسن الخلق والسيرة الحسنة، وأنه يعمل بالتجارة وليس له علاقة بالعلم الشرعي أو الدعوة، ومرّ عليه الآن أكثر من خمس سنوات معتقلاً، كلما انتهت مدة حبسه، أدخلوه بالبهتان في قضية أخرى.

وكانت العادة في الأنظمة السابقة أن ملف الخلاف مع الشخص يغلق بوفاته، وتتوقف تصفية الحسابات معه، ويُفرج عن المحبوسين لأجل صلتهم به، وهو ما نادَى به جمع كبير من علماء المسلمين والمؤثرين حتى أصبح وسم (أفرجوا عن همام الحويني) المتصدر ضمن الأعلى تداولاً على وسائل التواصل، ولكن لا حياة لمن تنادي!

لم يكن الشيخ الحويني يشبه أحداً من أقرانه، وتفرّد بكثير من خصال الخير بين علماء زمانه، وترك للأمة تراثاً وميراثاً يجعله في صفوف الأئمة الأعلام، محباً للحق لا يقبل الضيم، ولا يرضى ظلم الظالمين، كتب الله له أجر المهاجرين العاملين، ورفع الله درجته في عليين!

محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الخديعة العظمى..
الدعاة على أبواب جهنم!

ما إن أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين فتواه الأخيرة حتى انبعثت أبواقُ آثمة مجرمة تنهش في الاتحاد وعلمائه وترميهم بأنواع الزور والبهتان، وبعض هذه الأبواق لبس الثوب الشرعي واستعمل في مضادة فتوى الاتحاد لسان أهل العلم وألفاظهم، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون!

وما كانت فتوى الاتحاد العالمي شيئاً جديداً، بل لقد يُقال إن الفتوى تأخرت كثيراً، فلا تزال الحرب مشتعلة في غزة منذ عام ونصف العام، بل هي جارية لا على أصول الشرع ومعهود قول العلماء فحسب، بل هي امتداد طبيعي لفتاوى المؤسسات العلمية الرسمية ذاتها قبل سنوات. وللتدليل على هذا فقد خصصنا قسم الراحلين من عدد المجلة هذا لفتاوى الأزهر الشريف في ذات الشأن، وفيه ترى أن فتوى الاتحاد العالمي لا تخالف ألبتة فتاوى علماء مشيخة الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية، بل إن فتوى الاتحاد في بعض وجوهها أقل لهجة وصرامة من فتاوى هؤلاء السابقين.

من رأى انتفاضة أبواق السوء هذه، أو من يسميهم شيخنا القرضاوي رحمه الله «علماء السلطة وعملاء الشرطة»، يحسب أن الاتحاد قد جاء بشيء جديد مستنكر، وما كانت فتوى الاتحاد إلا أنها تعلن وجوب الجهاد على الدول الإسلامية في فلسطين، ووجوب إمداد المجاهدين بالمال والسلاح اللازمين لهم في معركتهم الإسلامية الخالصة، وفي الامتناع عن التعاون مع الصهاينة وإمدادهم بالمال أو السلاح أو الطعام والشراب.. وذلك كما ترى أقل الواجب الذي على المسلمين لإخوانهم المذبوحين.

ولستُ في هذا المقام بوارد التعليق على هذه الفتوى ونصرتها، وإنما أريد أن أبذل للقارئ شيئاً من باب التاريخ يزيد في وضوح الحالة التي نحن فيها، والتي توضح لماذا انتفضت أبواق السلاطين فزعاً لهذه الفتوى الطبيعية.. فأعرني سمعك وبصرك وعقلك وقلبك!

١

رسم لنا النبي ﷺ مراحل تاريخ الأمة في خمس مراحل كبرى، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة»[١].

والمُلك العَضوض، أي: يصيب الرعية فيه عَسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضًّا[٢]. وأما المُلك الجبري، فهو القهر والعتوّ والجبر، من الجبروتية والعظموتية والعلُوّ، إذ يغلب الظلمُ والفساد[٣].

وهذا الحديث، كغيره من أحاديث الفتن، قد وقع الخلاف بين العلماء في تفسيره وإيقاعه على المراحل التاريخية للأمة، ولكن يكاد أن يتفق العلماء المعاصرون على أن:

---

١ أحمد (١٨٤٣٠)، والبزار (٢٧٩٦)، وحسنه شعيب الأرناؤوط، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

٢ أبو عبيد الهروي، الغريبين: غريبي القرآن والحديث، ١٩٢١/٤؛ ابن الجوزي، غريب الحديث، ٤٠١/٢؛ الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، ٤٤٣/٢؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٥٣/٣.

٣ الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٣٧٦/٨؛ عبد الحق الدهلوي، لمعات التنقيح شرح مشكاة المصابيح، ٥٧٦/٨.

- المُلك العضوض هو الذي يمتد من بداية الدولة الأموية مع عهد معاوية رضي الله عنه، وحتى نهاية الدولة العثمانية وسقوط الخلافة.

- الحُكم -أو المُلك- الجبري هو الذي تعانيه الأمة بعد سقوط الخلافة، وحتى الآن.

ولهذا يستبشر المعاصرون بأن المرحلة القادمة هي مرحلة الخلافة على منهاج النبوة.

ويُساعد على صحة هذا الفهم، ما جاء في كثير من الروايات الأخرى، من أوصاف إضافية لفترة الملك العضوض والحُكْم الجبري، والروايات وإن كانت لا تخلو من ضعف على جهة الرواية، إلا أن انطباق وصفها على أوضاع هذه الأحقاب يحمل على تصديقها، فمن ذلك مثلاً:

١ حديث أبي عبيدة بن الجراح أنه ﷺ قال: «إن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائناً خلافة ورحمة، وكائناً مُلكاً عضوضاً، وكائناً عنوة وجبرية وفساداً في الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير»[٤].

ففي هذا الحديث المراحل الأربعة متطابقة مع حديث حذيفة، وزاد في التفصيل على ذلك أن مرحلة المُلك العضوض خيرٌ من مرحلة الحكم الجبري الذي وصفه النبي ﷺ بـ«العنوة والجبرية والفساد في الأرض»،

٤ الطيالسي، (٢٢٥)؛ البيهقي، السنن، (١٧٠٧٣)؛ أبو يعلى، المسند، (٨٧٣)؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، (٨٩٦١)؛ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٠٥٥) وعلته عند الألباني اختلاط أحد رواته، وبقية رجاله ثقات، وأقرَّ أن متن الحديث -دون زيادة منكرة لم نوردها في المتن- صحيح، لشواهد صحيحة، وهذه الشواهد الصحيحة هي حديث الباب، وحديث البخاري «يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف».

كما يزداد فيه الابتعاد عن الشريعة أو تركها، حتى يصير الزنا والخمر والحرير حلالًا، إما بالاستحلال: أي أن تكون مباحة ومُقَنَّنة (وهذا هو نبذ الشريعة والانخلاع منها)، أو أن يكون الاستحلال كناية عن كثرة الممارسة (وهذا هو الاستخفاف بالشريعة والاستهانة بأحكامها)، وهذا الوصف يدل في نفسه على أن مرحلة الملك العضوض لم تكن على هذه الصفة، كما يدل على أن أسوأ المراحل التي يمر بها تاريخ الأمة هو مرحلة الجبرية.

وهذا الأمر سيزيد تفصيلاً في الحديث التالي، وهو:

٢ حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون[٥] عليه تكادم الحُمُر، فعليكم بالجهاد». وفي رواية: «ثم جبروتاً صلعاء[٦] يتكادمون عليها تكادم الحمير». وفي رواية: «ثم جبروت صلعاء، ليس لأحد فيها متعلق، تُضرب فيها الرقاب، وتُقطع فيها الأيدى والأرجل، وتُؤخذ فيها الأموال»[٧].

ويُروى هذا الحديث موقوفًا على عُمَر كما عند أبي نعيم والحاكم، ولكن وقفه أو رفعه لا يؤثر هنا، فإن الحديث من علم الغيب الذي لا يرويه الصحابي إلا على جهة سماعه من النبي ﷺ، فليس هو من باب الرأي.

---

٥ يتكادمون تكادم الحمير: كدم الحمار كدما أي عضَّ بأدنى فمه، والحديث يُصَوِّر حال جدب ومجاعة حتى تبحث الحمير في الأرض عن أصل النبات فتعضّ عليه بأدنى أفواهها، فكأن قبض أولئك الحكام على الحكم كقبض الحمير بملء أفواهها على أصل النبات بأشد ما تملك، في حال الجدب والفقر والشدة.

٦ صلعاء: أي ظاهرة بارزة.

٧ الطبراني، المعجم الكبير، (١١١٣٨) وهذا لفظه؛ نعيم بن حماد، الفتن، (٢٣٦)؛ الحاكم (٨٤٥٩)، وسكت عنه الذهبي؛ والهيثمي، مجمع الزوائد، (٨٩٦٥)، وقال: رجاله ثقات؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٧١).

وفي هذا الحديث نرى أن مرحلة الملك العضوض وُصِفت بالرحمة، بينما وُصِفت مرحلة الملك الجبري -أو: الحكم الجبري- بتشبيه فظيع، وهو الجبروت الواضح الظاهر الذي تُضرب فيه الرقاب وتُقَطَّع فيه الأيدي والأرجل، وتؤخَذ فيه الأموال؛ أي أنه عصر قتل وترويع وإذلال.

٣ حديث جابر الصدفي عن أبيه عن جده أنه ﷺ قال: «سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا»[٨].

وهذا الحديث يسرد ذات الترتيب، مع تفصيل زائد في مرحلة الأمراء والملوك، فكأنه ﷺ يشير بها إلى عصر الفتنة، حيث استقل بعض الأمراء بما تحت أيديهم، كما فعل معاوية بالشام ثم بمصر، وكما فعل مروان بن الحكم بالشام أيام عبد الله بن الزبير، ثم اجتمع الأمر مرة أخرى للملوك. ومن بعد الملوك الجبابرة، الذين هم أصحاب الملك الجبري، ثم يأتي بعدهم المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً، فتكون خلافته هي الخلافة الأخرى التي هي على منهاج النبوة.

٨ الهيثمي، مجمع الزوائد، (٨٩٦٥)، وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم؛ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٧٢٢). وهذا الحديث ضعفه شديد، إذ فيه عدد من المجاهيل. ولكنه -كما ترى- منسجمٌ مع التاريخ ومع بقية الأحاديث الصحيحة.

وهذه الأحاديث الأربعة هي وصفٌ عجيب ودقيق لأحوال عصرنا، عصر الجبرية، والفارق بينه وبين عصر الملك العضوض، الذي كان عصر رحمة وإن شابه فساد وانحراف عن الخلافة الراشدة!

وتتشابه هذه الأحاديث مع أحاديث أخرى صحيحة، لكن لم يَرِد فيها وصف المُلْك العضوض أو الحكم الجبري، من أهمها: حديث حذيفة بن اليمان، يقول:

«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخَن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[٩].

فهنا يظهر التناظر واضحاً بين هذا الحديث، وبين حديث الخلافة والملك العضوض والجبرية:

- **فالخير الأول هو النبوة والخلافة الراشدة.**
- **والشر الأول هو عصر الفتنة بين الصحابة.**

٩ البخاري (٣٤١١)؛ مسلم (١٨٤٧).

- ثم يأتي الملك العضوض وهو الخير الذي فيه دَخَن، حيث لم يلزم الملوك سُنة النبي ﷺ بحذافيرها، لكنهم ظلوا قائمين بالحق في أبواب أخرى، ولذا وُصِفوا بهذا الوصف «يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر».

- ثم يأتي بعدهم الشر الكبير، وهو المُلك الجبري أو الحُكم الجبري حيث وُصِفوا في هذا الحديث بأنهم «دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، وهم أيضاً: «من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». وهذا الوصف الأخير لا يُعرف أنه تحقق في تاريخ المسلمين إلا في هذا العصر منذ ضعف الخلافة العثمانية وسقوطها.

ومما يستفاد من هذه الأحاديث:

١ أن الملك العضوض وقع فيه نقص وترك لبعض الدين، وشابته مظالم وانحرافات، ولكنه لا يزال في الجملة مُلْكًا فيه دين ورحمة.

٢ أن مرحلة المُلك الجبري أو الحكم الجبري هي التي يحصل فيها الخروج عن الدين والانخلاع منه، فيكون عصر ترويع وإذلال واستحلال للمحرمات وفرقة شديدة، حتى إن زعماءَه هم دعاة على أبواب جهنم.

وبالتأمل في نصوص الشريعة ووقائع التاريخ نستنتج الفارق بين هذه المراحل على هذا النحو:

- الخلافة الراشدة تحقق فيها الرُّكْنان الكبيران: تحكيم الشريعة، واختيار الأمة للأمير.

- والملك العضوض تحقق فيه ركنٌ وتخلف ركنٌ؛ فقد بقي حكم الشريعة، ولم تعُد الأمة تختار أميرها.

- وأما المُلك الجبري فهو الذي انهدّ فيه الركنان، فلا بقي حكم الشريعة، ولا اختارت الأمة أميرها.

وقد كان معظم التاريخ الإسلامي واقعاً في زمن الملك العضوض، وشهدت الأمة في تلك الحقبة مراحل من قوتها وتفوقها السياسي والحضاري وازدهارها العلمي والأدبي. بينما جاءت مرحلة الحكم الجبري بالذل والاستضعاف والتأخر في سائر وجوه الحياة[١٠].

٢

ومن وقائع التاريخ يسعنا أن نحدد بداية التحول الكبير من مرحلة الملك العضوض إلى مرحلة الملك الجبري في اللحظة التي سيطر فيها محمد علي باشا على الحُكْم في مصر، فتلك هي البذرة التي تمددت وتوسعت في ظل الاحتلال الأجنبي ونفوذه حتى سادت على الأمة كلها عند لحظة سقوط الخلافة العثمانية، ولا نزال فيها حتى الآن.

فنحن إذن نعيش مرحلة، قد وصف النبي ﷺ حكامها بهذا الوصف الجامع، كما في حديث حذيفة في الصحيحيْن، «دعاة على أبواب جهنم»، هذا مع أنهم «من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».

وأريدك أيها القارئ الكريم أن تتوقف معي طويلاً عند هذا الوصف الذي هو أصل أصول المخادعة والخطورة في واقعنا المعاصر.. أن القوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا!!

---

١٠ لمزيد من التفصيل راجع كتابي: خلاصة تاريخ الإسلام، المجلد الثالث.

هنا مركز الخداع الضخم الكبير، الخداع الذي يشل العقول ويُخَدِّر التفكير ويشوش الصورة ويطمس الحقيقة.. القوم في ظاهرهم مسلمين، عرب، وطنيين.. يتكلمون بلسان المسلمين العرب الوطنيين.. من رآهم وسمعهم لم يشك في أنهم من أبناء هذه الأمة وأنهم ينطقون عن غاياتها وآمالها ويعبرون عن مصالحها ويرعون شؤونها وأحوالها!!!

هذا هو الخداع الضخم الذي يجعل النقاش حول هؤلاء طويلاً ومريراً ومتفرعاً وكثيراً.. فليست أحوالهم الظاهرة دليلاً على حقيقتهم.. فتأمل في داعية يدعوك إلى جهنم، ولكنه يكلمك عن جهنم فيجعلها جنة موعودة وفردوساً منشوداً، ولئن كنتَ تراها نارًا وجهنماً فإنما هي فترة محدودة، وإن ما فيها من العذاب والعنت والمشقة إنما هو في سبيل المصلحة الوطنية، وإنما هي تضحية محمودة، وإنما هو أمرٌ تفعله لأجل الأجيال القادمة، وضريبة تدفعها في طريق التقدم والنهضة، وعمل سيخلده لك التاريخ!

نعم، أخي القارئ الكريم.. قف واستعمل خيالك كله، في تصور رجل داعية يقف على باب جهنم يدعو إليها، وتصوَّر: ماذا كان سيقول في ترويج بضاعته وجذب الناس إليها؟!

ولا بأس أن تتوقف عن القراءة ثم اسرح بخيالك.. ولكم وددتُ أن تكون لي موهبة السيناريست الروائي أو الشاعر ذي الخيال الجامح، لفعلتُها ويسَّرت الأمر على نفسي وعليك!

٣

على أني مطمئنٌ أنه مهما بلغ الخيال بك وبي وبالروائي المنشود والشاعر المفقود فلن نبلغ وهدة الواقع الذي نحن فيه..

ها أنت ترى في الواقع نفسه كيف انتفضت أجهزة الأمن الأردنية لاعتقال بعض الشباب الذين نهضوا لمحاولة مساعدة إخوانهم في الضفة الغربية وتهريب السلاح لهم، فاتهمتهم بالإرهاب والسعي في تخريب الوطن، وسجنتهم ونشرت ما قالت إنه اعترافاتهم لتمهد بذلك حملة على كل شيء فيه دعمٌ للمقاومة في فلسطين.. وكل ذلك باسم الوطن!

ومع أن جماعة الإخوان المسلمين سارعت بالتبرؤ من هؤلاء المتهمين وأنهم إنما فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم وأن الجماعة لم تكن على علم به ولا حتى تؤيده، إلا أن السلطة الأردنية أصدرت قراراتها بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها ومحاكمة من يروج لأفكارها!

ونستطيع أن نسرد طويلاً طويلاً طويلاً طويلاً مجهود النظام الأردني ودوره المهم في إقامة (إسرائيل) أولاً، ثم في حمايتها ثانياً، ثم في تسليم الأرض لها ثالثاً، ثم في قتل ومطاردة من يعمل على مقاومتها رابعاً!

وهل من دليل أجلى ولا أوضح من أن يكتب نتنياهو بنفسه في مذكراته المنشورة المعلنة أن «بقاء المملكة الأردنية هو بمثابة مصلحة حيوية لإسرائيل، ولو اقتضى الأمر فسنتدخل بجيوشنا لحمايتها من السقوط»؟!!

قطعت جهيزة قول كل خطيب..

وقل مثل ذلك عن غيره من الأنظمة، لا سيما النظام المصري، الذي يتولى الحماية من الجنوب، ويقوم بدوره في تكبيل الشعب المصري الهادر الهائل عن إنقاذ إخوانه أو دعمهم.. وللنظام المصري مثل ما للأردني من التاريخ الأسود من التسبب في إقامة إسرائيل وحمايتها وتسليم الأرض لها وقتل من يفكر في مقاومتها!!

إن حقيقة الأزمة التي نعيشها الآن، والتي تكبل الجميع عن التفكير السليم وعن التوجيه السليم، هو في تلك الخدعة الكبيرة التي هي «من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».. هذا ما يجعل الأكثرين بدايةً من العلماء أصحاب الفتاوى وحتى العامي الذي يجلس على المقهى يستمع الأخبار غير قادر على فهم الواقع، ولئن فهمه فهو غير قادر على التعامل معه كما هو، إذ الخديعة العظمى تعيق فهم الكثيرين عن تصور ما يقول وعن الاستجابة له!

فلئن أنعم الله عليك بالفهم وبالنجاة من الخديعة.. فدورك أن تسعى في سحب غيرك منها، قبل أن يستجيب لهذا الداعية القائم على جهنم، فيقذفه فيها!!

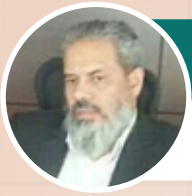

د. حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

يا أهل غزة
لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

لقد نهى الله سبحانه وتعالى الإنسان من أن يهلك نفسه، أو أن يقتل نفسه، أو حتى أن يصيبها بالأذى، فالمرء لا يملك نفسه ولذا لا يحق له التصرف فيها إلا وفق مراد الله تعالى، ولذا قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

فكيف يُلقي المرء بيديه إلى التهلكة أو كيف يقتل نفسه؟

المنطق يقول: مَن تردى من جبل، أو طعن نفسه بسكين، أو ألقى نفسه في اليمّ، ومثل هذا كثير، فهذا يكون قد ألقى بيديه إلى التهلكة أو قتل نفسه، ولذا قال الشيخ السعدي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل الإنسان نفسه، ويدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك»[1].

ويقول المنطق أيضًا: إن من سلّم نفسه لعدوه ليقتله دون مقاومة فقد قتل نفسه، ومن ترك السلاح الذي يحمله ليقف عاريًا أمام عدوه يفعل به ما يشاء، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، ومن كان في مقدوره الاستعداد لعدوه ولم يستعد وتمادى حتى داهمه العدو وقتله فقد ألقى بيديه إلى التهلكة، ومن أعان العدو على أخيه المسلم فقد ألقى نفسه هو إلى التهلكة، ومن ترك أخاه ليقتل بأي حجة حتى إذا ما تخلص العدو من أخيه توجه إليه فقضى عليه فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة.

تفسير التهلكة وقتل النفس في كتاب الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: «وَرَوَى يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ:

---

١ تفسير السعدي، ص١٧٥.

غَزَوْنَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهِ[٢] مَهْ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعَاشِرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الْآيَةَ. وَالْإِلْقَاءُ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ. فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَقَبْرُهُ هُنَاكَ. فَأَخْبَرَنَا أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ الْإِلْقَاءَ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ هُوَ تَرْكُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ»[٣].

إلقاء السلاح تهلكة للنفس

قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

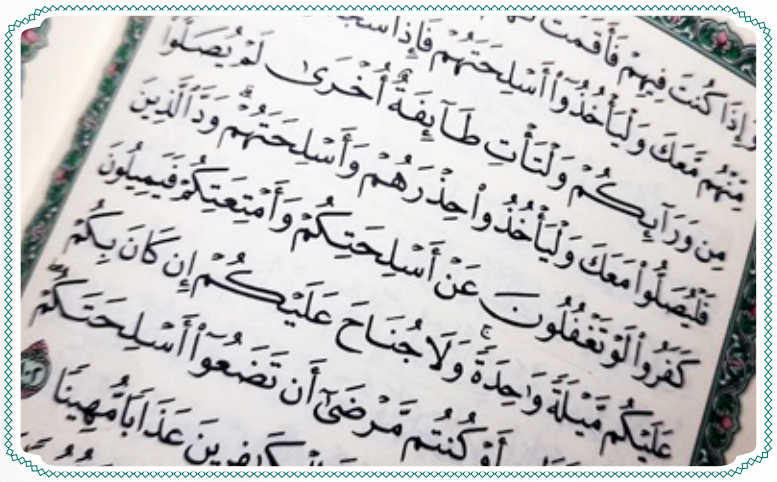

قال الإمام القرطبي -رحمه الله: «أَيْ تَمَنَّى وَأَحَبَّ الْكَافِرُونَ غَفْلَتَكُمْ عَنْ أَخْذِ السِّلَاحِ لِيَصِلُوا إِلَى مَقْصُودِهِمْ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي الْأَمْرِ بِأَخْذِ السِّلَاحِ، وَذَكَرَ الْحَذَرَ فِي الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ دُونَ الْأُولَى، لِأَنَّهَا أَوْلَى بِأَخْذِ الْحَذَرِ، لِأَنَّ الْعَدُوَّ لَا يُؤَخِّرُ قَصْدَهُ عَنْ

---

٢ اسم فعل أمر يستخدم في الزجر والنهي.

٣ تفسير القرطبي، ٢/ ٣٦١، ويكاد المفسرون جميعًا يجمعون على هذا التفسير.

هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُ آخِرُ الصَّلَاةِ، وَأَيْضًا يَقُولُ الْعَدُوُّ قَدْ أَثْقَلَهُمُ السِّلَاحُ وَكَلُّوا. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى تَعَاطِي الْأَسْبَابِ، وَاتِّخَاذِ كُلِّ مَا يُنْجِي ذَوِي الْأَلْبَابِ، وَيُوصِلُ إِلَى السَّلَامَةِ، وَيُبَلِّغُ دَارَ الْكَرَامَةِ. وَمَعْنَى (مَيْلَةً وَاحِدَةً) مُبَالَغَةً، أَيْ مُسْتَأْصِلَةً لَا يُحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى ثَانِيَةٍ»[٤].

ويظهر من ذلك أن الله تعالى ينبهنا ألا نلقي سلاحنا لا في وقت الحرب ولا في وقت السلم، ومعنى أن نلقي سلاحنا أننا نسلّم أنفسنا لعدونا، حتى يقضي علينا كيف يشاء، وتأمل قوله تعالى: ﴿مَيلَةً وَاحِدَةً﴾ ليظهر لنا مدى حرص العدو على إهلاكنا ولو في جولة واحدة لا ثانية لها.

من يدعو المقاومة في غزة لإلقاء السلاح يريد إهلاكها

برز اليوم كثير من الثعالب الماكرة، تنادي المقاومة بأن تلقي سلاحها، لتقف مكتوفة الأيدي أمام عدو مجرم، عدو يمتلك كل أسباب القوة والعتاد، ولم يجرؤ واحد منهم أن يطلب من العدو الغاصب أن يلقي سلاحه، إنما الدعوة فقط للرجال المقاومين أصحاب الأرض وأصحاب الحق لأن يلقوا أسلحتهم، ومعنى أن تلقي المقاومة سلاحها، أي أنها تسلم نفسها لعدوها يفعل بها ما يشاء، يقتل أهلها ويسبي نساءها ويذبح أطفالها ويشرد الباقين ويغتصب ما بقي من أرض وينتهك المصون من العرض، فهذه الدعوات ما هي إلّا لإلقاء أهل غزة أنفسهم في التهلكة!

---

٤ تفسير القرطبي ٥/ ٣٧٢.

إن السلاح هو سبب بقائهم، فإذا ألقوه فنوا جميعًا.

ثم ما هو عمل الرجال إذا ألقوا سلاحهم، هل يتحولون لعمل النساء ويجلسون في البيوت ويتركون العدو يسرح ويمرح في بلادهم؟!

إن أم أيمن -رضي الله عنها- خرجت يوم أحد مع الجيش وكانت تسقي الجرحى وتمرضهم، فلما فرّ بعض الصحابة من المعركة، تلقتهم أم أيمن وأخذت تحثو التراب في وجوههم، وكانت إذا لقيت فارًا منهم تقول له: «هاك المغزل وهات سيفك»! بمعنى: اترك عمل الرجال وكن في عمل النساء.

إن من يدعو المقاومة لإلقاء السلاح إنما يدعوها للتخنث وترك الرجولة، وهذا لن يكون أبدًا بإذن الله تعالى.

وللمقاومة فيمن سبقهم المثل

لقد وعت المقاومة الدرس جيدًا، ورأت أن مَن تمسّك بسلاحه انتصر وكُتب له البقاء والعزة، وأن من تخلى عن سلاحه كُتب عليه الفناء والإبادة، ومن عاش منهم عاش مشردًا ذليلًا.

فها هي أفغانستان لما تمسك المقاومون فيها بسلاحهم عادت لهم دولتهم وعزوا بعد ذلة، وما أصدق مقولتهم عندما عرض عليهم الأمريكان التفاوض ووضعوا لهم شرط إلقاء السلاح لإتمام التفاوض، فردوا عليهم بقولهم: «لولا هذا السلاح لما جلستم معنا».

نعم، قوة السلاح فقط هي التي تعيد الحق وتجبر العدو على التراجع.

وكذلك ما حدث من تحرير لفيتنام حدث بتمسك المقاومة بسلاحها وعدم التخلي عنه، وكذا الجزائر وليبيا وغيرها من البلدان، والتاريخ حافل بأمثلة المقاومين الأبطال الذين حرروا بلادهم بسلاحهم.

وعلى الجانب الآخر فإن من تخلوا عن سلاحهم، أو استجابوا للضغوط فتركوا السلاح، أو ظنوا أن النجاة في ترك السلاح، فهؤلاء جميعًا أبادهم العدو ونكل بهم شر نكال.

فها هي سربرنيتسا والتي ظلت تقاوم وتقاوم وما أن ألقى المقاومون سلاحهم نزلت بهم أعظم مذبحة عرفها التاريخ المعاصر والتي تسمى مذبحة سربرنيتسا[٥].

وما حدث في بغداد أيام أن دخلها المغول ليس منّا ببعيد، وما كان له من سبب سوى عدم المقاومة، أو الظن السيء في العدو أنه سيرحم، وغيرها من أمثلة التاريخ كثيرة ووفيرة.

يا أهل غزة أبشروا فإن التاريخ يعيد نفسه

ويكأني أرى موقف النبي ﷺ وأصحابه الكرام يوم الأحزاب وقد تخندقوا بالخندق الشهير، وقد اشتدّ بهم الكرب، وبلغت القلوب الحناجر، حتى ظنوا بالله الظنونا، وما أن كانوا ينتظرون الفرج من الله تعالى،

٥ تابع القصة كاملة في وكيبيديا الموسوعة الحرة: مذبحة سربرنيتسا.

إذ تتفاقم المعاناة وتنقض قريظة العهد ليحكم الحصار على المسلمين، ويزيد الكرب شدة، وعندها يأتي الفرج وينصر الله المسلمين بآية من آياته، ويتحول الأمر سبحان الله، فما أن جاء النصر حتى حاصر المسلمون قريظة في نفس اليوم، ثم نكلوا بهم جراء غدرهم وخيانتهم.

واليوم يتجمع بنو قريظة والنضير وقينقاع ويعاونهم الصليبيون بأجمعهم على حصار أهل غزة، ويتخندق أهل غزة بذات الخندق الأول، ويشتد عليهم الكرب، ويأتي مشركو العرب ومنافقوها والخونة منهم لينقضوا عهد الإسلام، وينضموا لحصار أهل غزة، ويزداد الكرب على أهلنا في غزة مع دعوات التهجير ونزع السلاح وخلافه.

وإنها والله لحظات انتظار النصر والفرج من الله تعالى، وغدًا بإذن الله سيتم حصار قريظة وإجلائهم بعد التنكيل بهم، وكذا حصار منافقي العرب وخونتهم وإزالتهم عن عروشهم، لبدء مرحلة جديدة من التاريخ بإذن الله تعالى، ليعود للإسلام عزه ومجده.

نصيحتنا للمقاومة في غزة

بداية إن حق لنا أن ننصح هؤلاء الأبطال، فهم الذين ينصحوننا لا نحن ننصحهم، وهم أعلم وأدرى منا بالعواقب، لكن الله تعالى فرض علينا التناصح في الله عز وجل، بل إن من عُذر الله تعالى لنا أن أوجب علينا النصح لهم ولعامة المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

ومن هذا المنطلق نقول لهم ما قاله هانِئُ بنُ قَبيصةَ البَكْرِيُّ لقومِه يحُضُّهم على القتالِ يومَ ذي قارٍ، وهو يومٌ مشهورٌ من أيَّامِ العَرَبِ، فقال: «يا مَعشَرَ بَكْرٍ، هالِكٌ مَعْذور خَيْرٌ مِن ناجٍ فَرور، إنَّ الحَذَرَ لا يُغْني مِن القَدَر، وإنَّ الصَّبْرَ مِن أسْبابِ الظَفَر، المَنِيَّةَ ولا الدَّنِيَّةَ، اسْتِقبالُ المَوْتِ خَيْرٌ مِنِ اسْتِدبارِه، الطَّعنُ في ثَغْرِ النُّحور أكرَمُ مِنه في الأعجازِ والظُّهور، يا آلَ بَكرٍ قاتِلوا، فما للمَنايا مِن بُدٍّ»[٦].

فيا أبطال غزة إياكم وإلقاء السلاح، فوالله ما بقي على ظهوركم وعلوكم إلا النذر اليسير، فالثبات الثبات، والله ناصركم ومعز دينكم.

اللهم ثبّت عبادك المجاهدين على أرض غزة يا رب العالمين، وردّ عنهم كيد المجرمين، وعافِهم برحمتك من المنافقين والمخذلين والخائنين، واجعل لهم من لدنك نصرًا وفرجًا عاجلًا برحمتك يا أرحم الراحمين!

---

٦ موقع إلكتروني: الدرر السنية، نماذِجُ مِن فَصاحةِ العَرَبِ في الجاهليَّةِ.

الشيخ حسن الخطيب
عضو رابطة علماء فلسطين

خذلانكم لن يضرنا

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤]. مَن كان سلوكه وهو في الطريق إلى الله عابداً مجاهداً تائباً.. فذلك فضل الله الذي سبق بتوبته توبةَ عباده فجعلهم من التائبين، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، وسبق بحبه عز وجل حب عباده حينما حبب إليهم الجهاد فأحبوه بحسن طاعته وجهادهم: ﴿فسوفَ يأتِ اللهُ بقومٍ يحبُّهُمْ ويُحبونه أذلةً على المؤمنينَ أعزةً على الكافرينَ يجاهدونَ في سبيلِ اللهِ ولا يخافونَ لَومةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فهؤلاء عَيْنُ الله ترعاهم، ولا يمكن أن تُهِينَهُم شدة الابتلاء، ولا تُغَيِّرَهُم مدلهمات الأمور وعِظَمُ الخطوب وقسوة الكروب وهول العواصف والأيام.. وإن تكالب عليهم كل خصوم أهل الأرض، وخذلهم أهل الملة والعربان.

ونحن في الطريق إلى الله تعالى، لا بد أن نعلم أن ربنا الذي خلقنا من العدم وربانا بالنعم، قادر على أن يُنْهِي دولة الاحتلال يوم السابع من أكتوبر وأن يستمر زحف المقاتلين، حتى يتم إعلان الدولة الفلسطينية الحرة المستقلة في القدس الشريف، لكن سُنة الله في الخلق وفي هذه الحياة الدنيا هي الابتلاء، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أحسنُ عملًا وهو العزيزُ الغفورُ﴾ [تبارك: ٢]. فسُنة الابتلاء قائمة ماضية، حاربنا أم لم نحارب، فبالجهاد نُبْتَلى وبالقعود والتخلف والخذلان كذلك نُبتلى.

لذلك وعلى مدار أكثر من ثمانية عشر شهراً، كانت الحرب على غزة بعد معركة طوفان الأقصى، امتحاناً كبيراً اختبر الله فيه إيمان المسلمين جميعاً، هذا الامتحان وهذا الابتلاء كشف الله فيه إيمان الناس وحقيقة معادنهم، دون استثناء، فلم يثبت من أهل الإسلام إلا القليل القليل، خاصة مدعو العلم والدين، ويا ليتهم فشلوا وانتكسوا فحسب، بل دافعوا عن أهل الباطل وبرأوا العدوان، وطعنوا في أهل الجهاد والإيمان، لقد سكتوا دهراً، وعندما تكلموا نطقوا كفراً!

فبعد أن أصدر علماء الأمة القليل.. القليل... فتواهم بضرورة واجب النصرة لأهل غزة وبيان حرمة خذلانهم، قام حفنة من أتباع الظلمة والطغاة، ليس ليردوا على فتوى علماء الأمة الناصحين فقط.. بل ليلوموا الضحية ولماذا تحركتْ وهي تُذْبَحْ؟

وشنوا هجومهم القذر على أهل الثغور الثابتين، الذين قال النبي ﷺ فيهم: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك». قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[1].

لقد قام مدعو العلم من المُخَذِّلين وأتباع الظالمين، ليطعنوا فيمن أفسدوا على العدو مخططاته الصهيونية وأفشلوا مشروعهم الاستعماري في المنطقة العربية، بعمل لم يشهد التاريخ مثيلاً له، فلم يكن بخيال أحد، ولا في تصوره، أن يحدث ما حدث يوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، وإن جالت في خاطره هذه الخاطرة، لم يخطر بباله نتائج وتبعات هذا اليوم العظيم من أحداث عِظَام وأمور جسام، وكيف قُضي فيها على نظرية الأمن الصهيوني وإلى الأبد، ونظرية الردع التي قامت على أساسها دولة العصابات الصهيونية.

---

١ رواه أحمد والطبراني وغيرهما، ورواته ثقات.

ولم يخطر ببال أحد أيضاً أن يحدث الخذلان العظيم الذي حدث من أمة العرب والمسلمين والعالم أجمع، فقد سقطت جميع الأقنعة والادعاءات والنظريات، فنظرية الديمقراطية التي ادعتها دول الغرب المتطورة تلاشت وتبخرت. وحرية الكلمة والرأي والرأي الآخر ذهبت بلا رجعة، ومدعو الإنسانية والعدالة الاجتماعية تبين كم هم أفَّاكُون وكَذَّابُون. وأهل العلم والتدين والمروءة والقيم والشهامة، لا وجود لهم مطلقاً على أرض الواقع، إلا من رحم الله تعالى.

لقد سقط الجميع في شر أعمالهم ومستنقع مصالحهم الخاصة والفردية والدونية.. لقد انكشف الجميع أمام الأحداث الجسام، أهل غزة يُقْصَفُون ويُقَتَّلُون لثمانية عشر شهر متوالية ومتتالية دون نصير، ولا حتى أي مساعدة! إلا مِن نصرة الله القوي المتين، وتوفيقه للمُقَاوِمِين المجاهدين، حين لم يرَ غَيْرُهُم بفضل الله ومن وقف في صفهم ممن يحبون الله ورسوله ﷺ في ظهر الغيب، من الغيورين الذين لا تعدمهم الأمة، وكذلك أهل العلم والدين، والذين وقفوا منذ اليوم الأول للحرب بكلمات الإمداد والدعوات والمال، مع غزة وأهلها، ومع ذلك لم يسلموا من سحرة الفراعين وجنودهم، مدعي العلم الأشقياء الذين يستهزؤون بصبر غزة وثباتها.

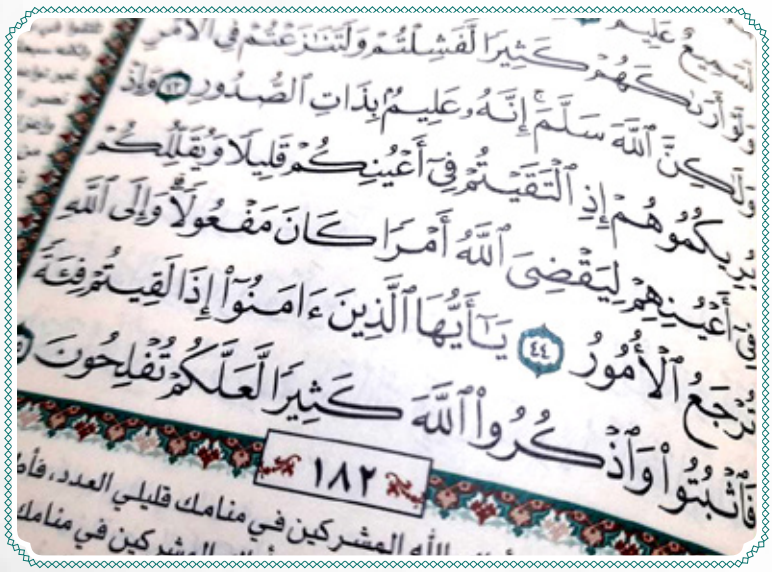

فكان من المفترض وقت المواجهة الثبات وتعزيز الثبات، وتوجيه الناس إلى الثبات، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، لكن الذي ظهر للأسف هو موقف النفاق والخذلان من الأمتين العربية

والإسلامية، والذي بفضل الله تعالى لم يؤثر في ثبات نساء غزة ورجالها وأطفالها وشيوخها، لأنهم عملوا بما تعلموه من كتاب الله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وتعلموا أن العمل بالثبات واجب، وليس اختيارياً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. كذلك من سنة نبينا ﷺ: «ما أصابَكَ لم يكن لِيُخْطِئَكَ، وما أخطأَكَ لم يكن لِيُصِيبَكَ، ولو مِتَّ على غيرِ هذا لدخَلْتَ النارَ»[٢].

فكان الاعتماد على الله هو الأساس، والرضا بما كتب الله هو المعتمد، لذلك قَاوَم رجال غزة الأبرار بقوة الله كل آلة الحرب الصهيوأمريكية المتطورة، وتحمل أهل غزة قسوة القنابل القاتلة والمدمرة والعدوانية؛ فما كان منهم إلا انتظار فرج الله بالصبر والرضا.

ودخل على خط العدو دعاة على أبواب جهنم أخبر عنهم النبي ﷺ بخروجهم بقوله: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». بسبب خذلانهم لأهل الحق ووقوفهم إلى جانب الباطل، رغم ما يرون من آيات العز والفخار، وصبر نساء غزة أيقونة المقاومة وأنهن كُنَّ أهم علامات النصر والشرف، ومثال الصمود والتحدي..

---

٢ صحيح الجامع، بسند صحيح.

فكيف لهؤلاء الدعاة الاستجابة لدعوى الباطل وفي غزة رجال الحق الزاهرون بدينهم القاهرون لعدوهم، وهم يثخنون في العدو الجراح، رغم انقطاع كل أنواع الدعم البشري لغزة وأهلها؟

لكن الغريب التوافق الواضح بين عرب الخذلان، وعدو الكفر والطغيان، والذي لا يمكن أن يستوعبه بشر إلا من أدرك حقائق القرآن وتدبرها، والتي تقول إن سنة الصراع قائمة بين الحق والباطل، ما بقيت السماوات والأرض، فأهل الحق في كفة، مهما قَلَّ عددهم، وأهل الباطل في كفة مهما كثر عددهم، فإبليس بكبره وغروره الخفي، كان عابداً مع الملائكة، وعندما رفض أمر الله تعالى انكشف أمره وانفضح وبات شيطاناً رجيماً بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نارٍ وخلقته مِن طينٍ﴾ ليفضح الله فكرة الأنا والاستكبار عنده وعند أمثاله، وظهرت الفكرة بوضوح في قصة ابني آدم، وانكشف تمام أمرها في قصة موسى وفرعون وما زالت، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨]..

فالمنافقون بكل ألوانهم وأطيافهم ومذاهبهم ومشاربهم يتبعون الشيطان بولائهم لأعداء الله وخذلانهم لأولياء الله، الذين يدافعون عن بيت المقدس، لذلك الجهاد فضحهم وعرَّاهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد:٢٠]. فهم الذين يكرهون الجهاد بحبهم للدنيا، فاجتمعت فيهم صفة

الغرور والاستكبار، والذلة والهوان، فخذلوا إخوانهم وأهل ملتهم، وانضموا قلباً وقالباً لمن يُشْبِع رغباتهم، فالأقصى لا يعنيهم الذي قال الله فيه: ﴿سُبحانَ الذي أَسرَى بعبدِه ليلًا مِن المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى الذي باركْنا حَولَه لِنُرِيَه مِن آياتِنا إنّه هو السميعُ البصيرُ﴾ [الإسراء: ١]. ولا يعنيهم قول النبي ﷺ: «ولنِعْمَ المصلَّى، هوَ أرضُ المَحشرِ والمنشَرِ، وليأتيَنَّ على النَّاسِ زمانٌ ولقَيْدُ سَوطِ (أو قال: قوسِ الرَّجلِ حَيثُ يرى مِنهُ بيتَ المقدسِ) خيرٌ لهُ أو أحبَّ إليه مِنَ الدُّنيا جميعًا»[٣].

لأجل ذلك قام هؤلاء الأشقياء بالطعن في الرجال المرابطين حول بيت المقدس، والذين أثنى النبي ﷺ عليهم وهم يتخذون موضع قدم على أرض فلسطين ينظرون من خلاله إلى بيت المقدس، يريدون تحريرها. فكان من المفترض على هؤلاء بيان قيمة وعِظَمَ أجر المقيم المرابط على أرض فلسطين المباركة، وبيان قوله ﷺ: «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود»[٤].

ولم يكتفوا بذلك، بل قد طعنوا في أهل الرباط وحقروا أعمالهم، وهم الذين خَصَّهُمُ النبي ﷺ بأفضل الرباط فقال: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون مُلكاً ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان»[٥].

---

٣ رواه المنذري في الترغيب والترهيب، بسند صحيح.
٤ رواه ابن حبان وغيره، بسند صحيح.
٥ رواه الطبراني وغيره، وهذا حديث صحيح، كما قال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة.

وهم الذين دَرَجُوا على تعليم الناس: من ربك؟ من الذي خلقك؟ ومع ذلك لم يتعلموا من ذلك وجوب طاعة الله وامتثال أمره في كل شيء. ألم يأمرنا ربنا أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وألا نتخذ من دونه أولياء؟ فكيف اتخذتم اليهود والنصارى أولياء من دون الله؟

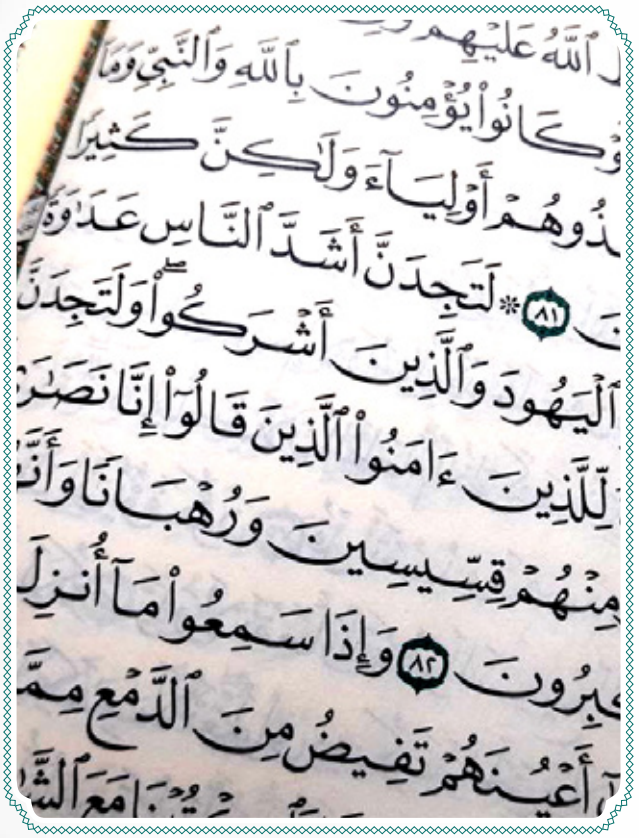

ألم يأمرنا بأن نرد اعتداء من اعتدى علينا؟ فلماذا تركتم أعداء الله يعيثون في أرض المسلمين فساداً؟

ألم يبين الله عز وجل ورسوله ﷺ عِظَم وأهمية الدم المسلم وحرمته، حتى يسفك وينتهك لأكثر من ثمانية عشر شهراً متوالية، دون أن يحرك أحدكم ساكنا؟

ألم يبين لنا الله تعالى ورسوله ﷺ عظم وأهمية المسجد الأقصى؟ فلماذا تركتموه محتلاً من قِبَلَ من قال الله فيهم: ﴿لَتَجِدَنّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذينَ آمنوا اليهودَ والذين أشركوا﴾ [المائدة: ٨٢]؟

ولماذا لم تتخذوهم أعداء كما أمر الله؟ ولماذا تركتموه يحتل مسرى نبينا محمد ﷺ؟ ألم تعلموا أن خذلانكم لإخوانكم كان نصرة لـ﴿أشدّ الناسِ عداوةً للذينَ آمنوا﴾، وما كان لهذا العدو أن يبسط سيطرته ويستطيل في عدوانه إلا بخذلانكم، خذلاناً يليق بكم وبما لحق بكم من عار الهوان، جراء ما جحدتم به نعمة

ربكم وحولتموها إلى نقم أضاعت وجودكم ومكانتكم وهيبتكم، قال ﷺ: «يُوشِكُ الأممُ أن تَداعَى عليكم، كما تَداعَى الأَكَلةُ إلى قصْعتِها». فقال قائلٌ: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال ﷺ: «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ، ولينزِعَنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبِكم الوهْنَ». فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ وما الوهْنُ؟ قال ﷺ: «حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ»[٦].

الهيبة التي زرعها الله في قلوب المؤمنين، نزعها الله من قلوب المتخاذلين حكاماً ومشايخ ومحكومين بسبب تخليهم عن شرف النصرة والإيمان، فنزع منهم الهيبة التي تخلوا عنها بحبهم للدنيا وكراهيتهم للموت، فألبسهم الله الهوان الذي تربع في قلوبهم.

ثم هنيئاً لمن بقي الإيمان في قلبه، مستمسكاً بحبل الله المتين، رغم اشتداد البلاء، وخذلان المنافقين ما فَتَّ في عَضُدِ المجاهدين المرابطين ولا أثَّرَ في رباطة جأشهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

بل عندما ازداد العدوان طغياناً، وعظم الخذلان، كان لسان حالهم يقول: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

---

٦ صححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة.

فمعركة طوفان الأقصى كانت:

﴿ليجزيَ اللهُ الصادقينَ بصدقِهم ويعذبَ المنافقينَ إنْ شاءَ﴾..

﴿وليعلمَ المؤمنينَ * وليعلمَ الذينَ نافقوا وقيلَ لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نَعلمُ قتالًا لاتّبعناكم هم للكفرِ يومئذٍ أقربُ منهم للإيمانِ يقولون بأفواهِهم ما ليسَ في قلوبِهم واللهُ أعلمُ بما يكتمونَ * الذين قالوا لإخوانِهم وقَعَدوا لو أطاعونا ما قُتلوا قُلْ فَادْرَءوا عنْ أنفُسِكم الموتَ إنْ كُنتمْ صَادِقينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٨]..

وليعلم الناصر من المتخاذل..

وإن القدس والأقصى يستحقون كل هذه التضحيات، فالأقصى قال الله فيه: ﴿سُبحانَ الذي أَسرَى بعبْدِهِ لَيلًا مِن المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقْصَى الذي باركْنا حَوْلَه لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إنّه هو السميعُ البصيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وعلينا أن نذكّر أدعياء العلم أن الاحتلال البريطاني كان المجرم الأول في قضيتنا المركزية، وأنه أنهي انتدابه لأرض فلسطين في ٣٠-١١-١٩٤٧م؛ ليسلمها إلى العصابات والمنظمات الصهيونية، كـ[الهجانا]، و[الإرجون]، أو [الإيتسل]، و[إشتيرن] أو [ليحي]، والتي حَلَّت محله، بإعلان دولتهم اللقيطة والمصطنعة، في ١٤-٥- ١٩٤٨م. وأن هذه العصابات بتواطؤ المحتل البريطاني ارتكبت وعلى مدار أكثر من عشرين سنة

أبشع المجازر وأفظع المذابح، دون مبرر، قبل نهاية الانتداب، ومع ذلك يتناسى هؤلاء الأدعياء اليوم كل هذا التاريخ، ويلصقون التهم بالمقاومة أنها كانت السبب في أحدث تلك المجازر!

لقد أغلقوا أعينهم عن تطبيع دولهم مع العدو الغادر واللص الجبان، وتناسوا أن هذا التطبيع كان بمثابة اعتراف بالمشروع الصهيوني وبما ارتكب من جرائم وسلب ونهب لأرض أقر الله بإسلاميتها في كتابه، وجعلها الأرض المباركة للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

فكان التغافل عن جرائم حكوماتهم، واتهام المقاومة والطعن فيها إنكاراً منهم لحقوق الأمة الإسلامية أولًا كمسلمين، ومن ثم لحقوق إخوانهم أهل فلسطين، ثم كون هذه الأرض التي احتلها العدو هي مسرى النبي محمد ﷺ. فالتغاضي عن جرم دول التطبيع واعترافهم بهذا الكيان، هو اعتراف وإقرار بكل ما يرتكبه العدو من جرائم بحق شعبنا الأعزل.

لقد نسي هؤلاء الأشقياء معظم النصوص التوراتية والتلمودية والتي تنص على استباحة دماء غير اليهود، فلقد سمعنا، وسمع العالم كله قولهم، عندما استباحوا قتل الفلسطيني وسَمّوهُم بـ[الحيوانات البشرية]، كما شاهد العالم كله فعل هذه العصابات وكيفية استباحتهم لدماء الفلسطينيين بكل وسائل القتل والدمار والإبادة الجماعية، وعلى أعين الجميع بحصار ظالم اشتركت فيه عموم دول الكفر، وحتى دول الجوار، لتستمر العمليات الإجرامية وتدمير البيوت فوق ساكنيها، ويستمر العدوان وطغيان العدوان، لتشمل عموم الضفة وبنفس الأسلوب الهمجي في العدوان.

إننا وما زلنا نعيش تبعات هذا الاحتلال الظالم من قِبَلِ ﴿أشدّ الناسِ عَداوةً للذينَ آمنوا﴾، وما زال الكثير من الدول العربية والإسلامية تقيم العلاقات، وتقوي شوكة عدونا بالتطبيع، رغم شلال الدم النازف في غزة..

يا مشايخ السلطان إنكم تدعمون حكومات لا تغار على الله.. ولا على دين الله ولا على دماء المسلمين وأوطانهم، وتعززون بذلك مواقفكم الإجرامية ومن توالون سواء بسواء، بموالاة الذين قالوا عن الله:، وقالوا: ﴿يدُ اللهِ مغلولة﴾!

أبعد أكثر من ثمانية عشر شهراً من الحرب والإبادة الجماعية التي يشنها القتلة، أما آن لكم أيها الغافلون أن تستيقظوا وتعودوا إلى رشدكم؟ أما آن لكم أن تعيدوا قراءة التاريخ جيداً؟ أما آن لكم أن تتدبروا كتاب ربكم وتنظروا في مآل كل المتخاذلين والذين ﴿رَضُوا بأنْ يَكُونوا مَعَ الخَوالفِ﴾؟ ألا تنظرون فيما صنع الطغاة، والذين خذلوا شعوبهم؟

أما آن لكم أن تعرفوا مَن عدونا الذي أخبرنا الله تعالى عنه؟ أما آن لكم أن تعلموا أنه لولا فضل الله علينا بالطوفان لضاع تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، وما بقي فينا عرق ينبض بالحياء ولا الحياة، وهذا لا يعني أن ننسى أننا نعيش ظروف حرب قاسية قذرة بكل أبعادها، نرى فيها صنوف الموت بكل ألوانه وأشكاله، ومن بقي منا حياً يشرب، بل ويذوق كأس المُرَّ من قيعانه، **وليس والله لنا إلا أمرين لا ثالث لهما:**

● الأول: نصرة الحق وأهله والرضا بقضاء الله والصبر على ما نرى من ويلات القتل بكل أبعاده ودمار طال كل شيء إلا نفساً مؤمنة راضية بقضاء الله وقدره، وامتثال أمره برد عدوان من اعتدى علينا، حتى يأذن الله لنا ويأتي أمره بالفرج، والنصر المبين، كما في الحديث الصحيح.

● والثاني: هو دوام التذمر والشكوى وندب حظنا في العالمين، ونتهم بعضنا بعضاً، ونسب ونشتم ونسخط، وقضاء الله فينا نافذ، من الابتلاءات والملمات والرزايا والكروب والويلات والخطوب، وليس لنا إلا السخط، وحينها يصدق فينا قول النبي ﷺ: «إن عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن اللهَ عز وجل إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ»[٧].

فلنتقِ الله ولنمتثل أمره، فـ﴿إنّه مَن يتّقِ ويصبر فإنّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المحسنينَ﴾..

---

٧ رواه الترمذي.

شيماء الهندي

الخط العربي الفزاوي تحت القصف

حوار: د. عبد السلام البسيوني

هل سمعتم عن شيماء محمد، الملقبة بشامة الخط:

البنت الرقيقة الهشة، والقوية الثابتة، والمغالِبة المرابطة، والثابتة على خط المواجهة، والتي هُدم بيتها، وحَيُّها، ومدينتها، وقطاعها كله، ونزحت وعادت، ونزحت، وعاشت في بيت مهدم، وفي خيمة لا تصد البرد والريح، ولا تُكن من المطر المستبيح؟ وافتقدت طاولتها، ومقعدها، وأحبارها، وأوراقها، وأقلامها؛ غير مرة!

والتي صنعت طاولة مضيئة من صحن بايركس، ومن رف زجاجي من ثلاجة خربانة، وصقلت ورقها بأهون الخامات، وأقلها جودة، حتى تتمكن من الكتابة عليها!

هي المقاتلة بخطها الرقعي المميز، رغم حداثة عهدها، وغياب أساتذتها المباشرين، واعتمادها في الكتابة على نفسها؛ فهي في الحقيقة عصامية تماماً في تعلمها، وإن شجعها بعضهم بكلمة، أو بثناء، أو بملحوظة فنية، من بعيد!

عاهدتها بعد وقت قصير من ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ أن تكتب كل يوم لوحة، تترجم بها للواقع المر، وتثبِّت بها قلوب من حولها، وتشد بها عزيمة نفسها، وتواصل تأصيل موهبتها، فوفت بوعدها؛ ولم تتخلف تقريباً إلا عند اشتداد القصف، وكلَب العدو، وسيطرة الرعب، وانطفاء النور، وفقد الأدوات!

كانت تعمل في إحدى مؤسسات التطريز الفلاحي الفلسطيني التي تهتم بإقامة الدورات المتنوعة للسيدات فشاركت في عدة منها، وتعلمت التطريز والتصوير والتصميم ومبادئ المونتاج البسيط. وكان أن أعلنت المؤسسة عن إطلاق دورة للخط العربي فتحمست، وتمنت من قلبها أن تُشركها المؤسسة في الدورة بالمجان، ودون أية رسوم (مهما بدت بسيطة) بسبب ظروفها الصعبة وفعلا شاركت. تقول:

«بدأت بالدورة مع زميلاتي وكنت أنتظر الدرس يوماً بيوم، وكنت إذا غاب الأستاذ تصيبني غصة في قلبي من شدة حماسي! كانت الدورة قصيرة، مدتها شهر واحد! لا تكفي لتعلم حرف، ولا أخفيك أني كنت كل مرة أكتب مع الأستاذ الدرس، ثم أهرع للمنزل لأكتب عبارة، وأوثقها بتوقيعي، وأنشرها بكل ثقة، لشدة ولعي بما أنا فيه!

كانت هذه الدورة بداية انطلاقي الحقيقي! فبدأت ألتقط معلومة من هنا ومعلومة من هناك عن قواعد الرقعة، وأصول الكتابة، والأدوات، وعن البارعين في هذا الفن، من عوام، ظننتهم خبراء بالخط؛ إلى أن تعرفت على الأستاذ هيثم الأسطل الذي من خلاله بدأت أضبط زاوية رؤيتي، وألملم شتات معلوماتي وأدائي، وقد وقف معي وقفة جادة، أفدت منها كثيراً، ولا يزال.

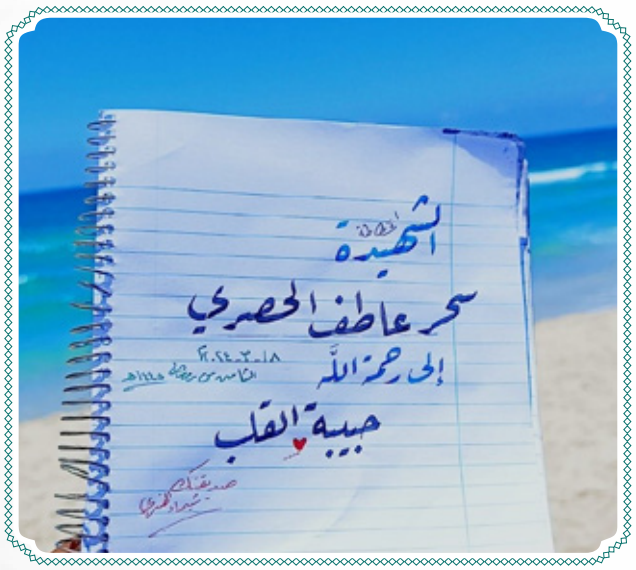

وذات مناسبة أصر أستاذي على أن أشارك في معرض للخط في غزة، ففرحت فرحة عارمة؛ فقد كنت آنذاك خطاطة مبتدئة لكنني غامرت وشاركت. وكانت أسعد فرصة في حياتي؛ إذ تعرفت من خلالها على الخط بشكل كبير ودقيق، واقتربت من ثلة مميزة من خطاطي غزة وفلسطين، ومنهم الأساتذة: إيهاب ثابت، وناصر المجايدة، وعبد الرحمن عسلية، ومحمد ميقاتي وهيثم الأسطل، والدكتور محمود عبد اللطيف، والحبيبة الشهيدة سحر عاطف الحصري التي اغتالتها صواريخ المحتل في الثامن من رمضان/ الثامن عشر من مارس عام ٢٠٢٤، رحمها الله تعالى ورحمنا والمسلمين!

واستمر المعرض يومين وفي الثالث وزعت الشهادات على الخطاطين، وعندما ذكروا اسمي رقص قلبي فرحاً وطرباً وخجلاً وخوفاً وتوتراً، فتقدمت لاستلامها وأنا أسمع ثناءهم عليّ بشكل كبير، وكأني خطاطة قديمة متمرسة، لا مبتدئة حديثة العهد بالخط!».

انتهى المعرض ولم ينتهِ طموح شيماء، التي طلب منها بعض الأساتذة أن تواصل الاهتمام بخط الرقعة، ولا تشتت نفسها في التدرب على أكثر من خط؛ حتى تضمن الإتقان، وبعدها تنتقل بهدوء لخط جديد.

«وفي هذه الأثناء تعرفت على الخطاط السوري، الأستاذ أحمد الأغا والأستاذ المصري أحمد عادل، ليوجهاني إلى الطريقة الصحيحة!

كما استفدت من توجيهات الأب العزيز الدكتور عبد السلام البسيوني الذي تعرفت عليه من خلال مشاركتي وانضمامي لعضوية قسم الفنون التشكيلية بالرابطة العالمية للفنون، التي يرأسها المنشد العملاق أبو راتب و(كانت قدم السعد والهنا عليّ). فشاركت أكثر من مرة برنامج ليالي إنشادية رمضانية، بموهبتي في الخط، بكتابة (بوستر) البرنامج، وأسماء المنشدين والضيوف. كنا لا تمر بنا سنتان إلا ونبتلى بحرب مباغتة، نفقد فيها الحبيب والصديق والقريب والجار؛ إلى جانب الدمار الكبير في المنازل!

وأذكر ذات رمضان، أثناء عرض برنامج ليالٍ إنشادية أن طلب مني د. فريد سرسك كتابة (البوستر) وبعض الأسماء و(الكباشن)، وكان القصف شديداً؛ ومع هذا فلم أعتذر عن الكتابة بسبب القصف؛ وشاركت رغم خوفي الكبير من أصوات الانفجارات والصواريخ والقذائف والزنانات التي كان تحيط بنا!

وفي هذه الأجواء العصيبة الحافلة بالرعب والصراخ والدماء والقصف والخوف حصلت على عدة شهادات في خط الرقعة، من أكثر من مكان من دورات (الأون لاين).

على غير ارتقاب باغتتنا الحرب اللعينة على غزة في أكتوبر ٢٠٢٣، وهي حرب شرسة حرب طاحنة لم يسبق لها مثيل في قسوتها.

بدأت الحرب وبدأنا نعيش على مدار الثانية خوفاً مختلفاً عما مر بنا، فكانت الساعة تمر بنا كأنها عام: تشتتنا من خلالها بالنزوح والتشرد هنا وهناك، إذ لم نكن نعرف حجم الخوف في كل مكان ننزح إليه حتى أيقنا أنه في ظل هذا الاحتلال الهمجي لا مكان آمنًا إلا في الجنة!

وكانت مرحلة النزوح المرة تلو المرة جداً جداً صعبة علينا، وأرهقتنا أيما إرهاق، فلقد نزحنا لأكثر من مكان. وكنا تتحرك إلى المجهول والعدم! فلا ماء ولا كهرباء ولا مرافق، ولا سقوف تظلنا، ولا جدران تصد عنا البرد والمطر والريح والوجع!

في هذه الفترة انقطعت عن الكتابة رغمًا عني؛ لأننا في كل حركة نزوح لم نكن نحمل معنا كل ما نريد، بل ما نطيق من الأشياء الضرورية! فكنت أمضي تاركة خلفي مكتبي وأحباري وأوراقي وأدواتي، وعالمي الذي لم أرَ أجمل منه، وأحب لقلبي!

وبعد هذا النزوح المشتت لنا ولأهلنا جميعاً في القطاع صدر أمر عام بإخلاء أكبر منطقة في المدينة، وشمل هذا الإخلاء بيتنا وكل الحي والأحياء المجاورة، واضطررنا مباشرة إلى أن نجهز ما استطعنا من أهم أشيائنا من مأكل ومشرب وملبس وأدوات ضرورية جداً، ليس منها بالتأكيد أدوات الخط!

نزحنا إلى المواصي في الخيام، حيث أدركت أنه لا بد أن أرجع للكتابة، وألا أضيع وقتاً أكثر!

وبصعوبة شديدة استخدمت قلماً عادياً، وورق دفتر تصعب الكتابة عليه، لأكتب بلا إمكانيات؛ لكوني بعيدة عن أدواتي وعالمي!

المهم أنى رجعت للتمارين وفق ما تتيحه نفسيتي ومزاجي المتقلب. ومرت الأيام الصعبة ونحن في الخيام، ولما تسلل إخوتي لبيتنا لجلب أغراضي معها أدوات الخط فوجئوا أن المحتل الحقير عاث في البيت تخريباً وإفساداً، وكسر الأشياء، وفقدت معظم الأوراق والأحبار؛ غير أدوات بسيطة.

عاودت ممارسة هوايتي بنفسية محطمة؛ لكني أصررت على الكتابة التي كانت تخرجني من الكآبة والإحباط، وتحسن المزاج قليلاً بفضل الله! وأكملنا شهرين ونصفًا ونحن نازحون بخيمة مقابل شاطئ البحر تماماً!

رغم كل الظروف والخوف الكبير من الزوارق التي كانت تقصف المكان كل لحظة إلا أن الجلوس أمام البحر كان يمدني بطاقة إيجابية، فتابعت التمارين كل يوم، وظللت أكتب وأصور أمام الشاطئ، وأخزن الصور بهاتفي، إلى حين تسمح الفرصة للبحث على النت لأتابع ما يدور حولنا وأشارك ما كتبت من معاناتنا مع العالم البائس.

كانت المعاناة شديدة جداً؛ إذ قُطعت الكهرباء تماما عن غزة مع بداية الحرب وكان شحن الهواتف أمرا صعبًا! وكم (أذلنا) بعض الناس الذي يملكون ألواح طاقة شمسية لنشحن عندهم هواتفنا، فاضطررت للشحن

(بفلوس) زمنا غير قصير، إلى أن أكرمنا الله بشخص كريم تبرع لنا بخلية شمسية، أشحن منها وأهلي والجيران، وأنا بحكم كوني خطاطة وتواصلي الخارجي أكبر من غيري كنت أعاني أشد المعاناة وأسير مسافات طويلة جدا علي قدمي؛ حتى أعثر على شبكة نت لأشحن، وأُطمئن كل من يسأل عني وعن أهلي وغزة عامة، بينما أخفى الكثير من المعاناة الخوف والقلق والرعب من القصف واحتمال التشرد والدمار والجوع الكبير.

انقطع النت بغزة نحو ثلاثة أسابيع فعشت كل لحظة طوالها بخوف مضاعف؛ ليس على نفسي بل على كل من يسأل عن أخباري، ولا يجد سبيلاً للاطمئنان! لهذا كنت أعد الدقائق انتظارا لعودة النت، ولجأت للذهاب لرفح لأن الحال فيها كان آنئذ أفضل وفيها معظم النازحين من الشمال. ذهبت إليها متلفعة، واشتريت بطاقة نت لأجد سيلاً من الرسائل تنتظرني ومعظمها من مقربين جداً مني، ورأيت حجم الخوف والقلق عليّ، ما جعلني أحس فعلاً (أن الدنيا لسا بخير وف ناس لسا عندها نخوة) ومستعدة تسأل عنّي دون كلل، ونحن في حالة الحرب هذه.

وفي المنطقة التي نزحنا إليها شبكوا نت في كافيه للعائلات على شاطئ بحر غزة، فكان الناس يومياً يذهبون إليه للتواصل والاطمئنان وسماع الأخبار، فكنت أذهب لأجلس أمام البحر على طاولة بعينها بعد أذان العصر!

ثم بدأت بجلب أدواتي معي، وبدأت أكتب وأتمرن، وأتصفح الأخبار، وعيني على البحر إلى حين غروب الشمس؛ لأعود بعدها لخيمتي. وبقيت هناك حتى قرر الأهل العودة لمنزلنا بعد أن اشتد حر الصيف علينا.

وكان الاحتلال وقتها قد انسحب من المنطقة التي كان يحتلها من المدينة فأخذ الناس يعودون متخوفين من الغدر والقصف، وبدهي أن الخوف كان وارداً، لكننا توكلنا على الله وقررنا -رغم كل الظروف والتحديات- العودة للبيت المدمر جزئياً!

وعدنا للبيت وبدأنا لملمة شتاته، وترتيبه قدر جهدنا، وعشنا فيه في ظل خوف متواصل مضاعف عن خوفنا في الخيام؛ لكننا تأقلمنا وعشنا!

نواجه الآن قصفا مختلفًا مخيفًا ومرعبًا؛ لأن معظم بيوت الحي مجرفة، لذا فإن صوت القصف يحدث صدًى مخيفًا مرعباً!

المهم أننا عشنا ومرت الأيام، وعن نفسي بدأت بلملمة شتات همتي، وحاولت جاهدة أن أرجع مكتبي كما كان؛ حتى أعود لعالمي وأكتب من جديد، ولعلي نجحت بعض الشيء بيقيني أن من رحم المعاناة يولد الأمل! وقد ساندني في ذلك بعض الزملاء الكرام، الذين كانوا سندًا لي بنصائحهم الثمينة؛ وحفزهم إياي لأكتب وأتابع، وأوصل صوتي رغم كل الظروف!

أخذت في البحث عن ورق لأتابع الكتابة والتمارين؛ فلا ورق عندي، والمعابر مغلقة، ولا مكان بغزة يبيع أغراض الخط لأتمكن من الشراء بعد قصفها كلها!

وبعد معاناة بحث طويل عن ورق عادي لا يصلح للكتابة عليه، لا ورق خط، وقد كانت في ذهني طريقة بسيطة لتجهيزه للكتابة! المهم أنني وجدت مكتبة تبيع ورق الطباعة العادي A4 فاشتريت كمية قلية منه بسعر مضاعف جنوني للأسف، بسبب احتكار التجار!

كانت عندي من قبل الحرب علبة غراء أبيض أستخدمه لنفس الغرض، والحمد لله أنه نجا من القصف ليعينني قليلاً في تهيئة الأوراق للكتابة، كانت الكمية قليلة، ولا تكفي لكن استطعت تهيئة نحو ٤٠ ورقة؛ فكسرت الغراء بالماء بعض الشيء، وأخذت أدهن به الورق ورقة ورقة وأنشفه تماماً، ثم صقلته ونعَّمته وحففته بكاسة زجاجية؛ حتى يصلح للكتابة، وبحثت عن بودرة أطفال لأمسح بها الورقة لينساب عليها الحبر، وعدت من جديد لعالمي المتواضع بعد معاناة وصرت كل يوم أنجز تمرينًا وأجهزه بالصورة والتصميم، وأنزله على صفحاتي في مواقع التواصل: فيس وانستا والواتس!

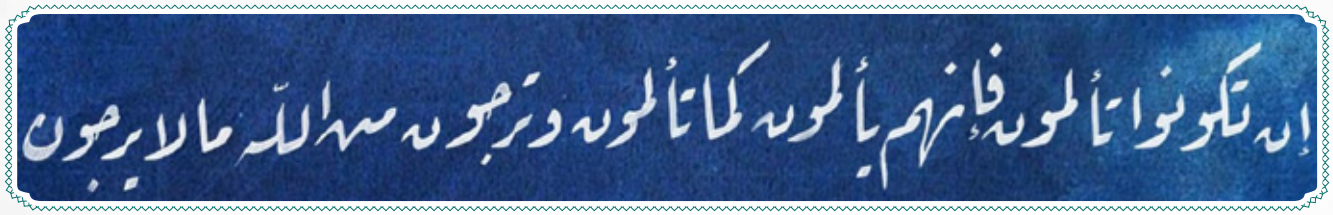

ولما أنعم الله علينا بالهدنة خمسين يوماً، بدأ الهدوء يعود للقلب شيئاً فشيئاً، رغم الغصة الكبيرة التي تملؤه وجعاً، بسبب فقد الكثير من الأحبة الذين غادرونا ورحلوا إلى جنات عرضها السماوات والأرض!

ذات يوم سمعت عن معرض للخط العربي، في العقبة بالأردن فطرحت فكرة مشاركتي على مسؤول المعرض أ. ياسر جرابعة فرد بالقبول السريع، وأضافني لقروب خاص بالواتس آب، به جميع الخطاطين المشاركين؛ لأتعرف على ثلة مميزة من الخطاطين الأردنيين المبدعين، وبشرني أستاذ ياسر بأن مشاركتي سيكون لها صدى واسع؛ لأنني مشاركة من تحت القصف، مع أن المعرض كان للأردنيين فحسب.

وتفضلاً منهم قبلوا لوحتي (أونلاين)؛ رغم شرطهم بأن اللوحات ترسل بأصلها إليهم؛ فأرسلت لهم لوحة (بي دي إف) كنت قد كتبتها في الحرب بعد عودتنا للمنزل، فطبعوها وعرضوها مع لوحات كبار الخطاطين. لتلقى صدى واسعًا؛ حسبما وصلني من صور وفيديوهات، وأثنى عليها الضيوف والحاضرون لجمالها وإتقان حروفها! كيف لا وهي التي كتبت تحت القصف!

كُرمت مع الخطاطين المشاركين، ثم شرفني بتسلم اللوحة عني الأستاذ الكبير والخطاط رئيس مؤسسة آرمات عمان الأستاذ غازي خطاب، وزادني تكريماً فاشترى لوحتي ليضعها مع شهادة التكريم في ديوانية الخط العربي في الأردن!

في (قروب) معرض أمواج للخط العربي في العقبة/ الأردن تعرفت على معلمي أستاذ النسخ إيهاب ثابت فطلبت أن أتتلمذ على يديه، ورغم إعجابه الكبير بي؛ فقد خوفني قائلاً: يا عمي يا شيماء: أنا أستاذ شديد جداً في المعاملة، وممكن ما تقدري على تعليماتي الصارمة!

ومع إصراري الشديد قِبل بي طالبة عنده، ومن خلال تعليمه ومعاملته لاحظت أنه أستاذ راقٍ، يمتلك قلباً طيباً، ولا يبخل علينا بأية معلومة، ويعلمنا بدقة شديدة لعله يخرج منا طلابًا يستحقون التتلمذ على يده.

من طرائف ما وجهني أنني سألت الأستاذ الغزاوي الأردني علي الدبش: كيف أحصل على طاولة ضوئية تساعدني على التمارين في النسخ والشفّ (نسخ ورقة من ورقة بمساعدة الضوء) حتى وصلت لفكرة بسيطة جداً، هي وضع ضوء LED (الذي ينتج ضوءًا أكثر كفاءة بنسبة تصل إلى ٩٠% من المصابيح المتوهجة) على المكتب، وإلصاقه بصحن زجاج (بايركس) لتساعدني الإضاءة على الكتابة والنسخ!

كانت الطريقة بسيطة لكنها ناجحة، ونالت استحسان الأستاذ إيهاب، ومن شدة إعجابه كتب بوست عن هذه الفكرة ونسبها لي، ما أسعدني كثيراً!

واستمررت على هذا فترة بسيطة إلى أن هُدينا لفكرة أفضل، بالبحث عن لوح زجاجي، لا يمكن أن يكون موجوداً في غزة بعد دمارها، فأشار عليَّ الأستاذ علي الدبش بالبحث عن رف زجاجي من إحدى الثلاجات المعطوبة بسبب الحرب، فتذكرت واحدة في بيت عمي، وفعلاً استعنت برف ألصقته بالمكتب بشكل مائل وثابت! فسهّل عليَّ الكتابة بأريحية بفضل الله تعالى، والحاجة كما قالوا أم الاختراع!

في ليلة الثامن عشر من مارس وبشكل مباغت قامت القيامة في غزة بقصف مزلزل ومجنون على القطاع بأكمله، وذهلنا من شدة الضرب. ومن تلك الساعة لليوم ونحن نعيش بغزة في جحيم قصفٍ عنيف متواصل يسقط بسببه شهداء، عدا ما نعانيه هذه الأيام من وضع صعب وفقد ومجاعة وحرمان من كل شيء ممكن يخطر، حتى إننا لنعده أصعب بكثير من السنة والنصف التي مرت بنا أول الحرب!

وبديهي أنه يصعب عليّ جداً الاقتراب من مكتبي لأعمق الموهبة التي أحب؛ حتى إنني طوال نحو أربعة أسابيع لم أستطع إنجاز سوى ثلاثة أو أربعة تمارين فقط، وكل ليلة ننطق الشهادتين ونحاول أن ننام، وقلوبنا مشحونة بالرهبة والدعاء من شدة القصف والتدمير، والحمد لله على كل حال.

أقصى أمانيّ الآن، أن ينتهي هذا الاحتلال البغيض، وأحيا، وأتقن وأجوِّد، حتى تكون لي بصمة تميزني بين الخطاطين، وأن أواصل تعلم النسخ بكل تفاصيله وأسراره مع الأستاذ إيهاب وأكتب الحلية الشريفة والقرآن الكريم، وأن يكون لي مكتب صغير فيه ما يكفيني من أدوات الخط العربي لأتمكن من المشاركة في المسابقات الدولية!».

الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

وجوب جهاد الدفع والرد على المحرفين

لقد قص الله علينا كثيراً من قصص أحبار أهل الكتاب وما فعلوه من تبديل وتحريف لشرع الله تعالى، وأوجب على أمة محمد ﷺ بيان الحق وعدم كتمانه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧-١٨٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا توبيخ من الله، وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوهوا بذكره في الناس، فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وُعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم. فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[1].

وقد شهد الله تعالى على أهل الكتاب بالتحريف والتغيير، فقال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال ابن كثير: «قال: هم اليهود، وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعدما عقلوه ووعوه. وقال مجاهد: الذين يحرّفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم. وقال أبو العالية: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرّفوه عن مواضعه، وقال السدي ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

---

١ تفسير ابن كثير، ط: أولاد الشيخ (٣/ ٢٩٠).

أي: أنهم أذنبوا. وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرّفونها، يجعلون الحلال فيها حرامًا [والحرام فيها حلالًا] والحق فيها باطلًا، والباطل فيها حقًّا، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإن جاءهم أحد يسألهم شيئًا ليس فيه حق، ولا رشوة، ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾»[٢].

فليحذر علماء الأمة المحمدية أن يسلكوا مسلك علماء السّوء من بني إسرائيل، فيصيبهم ما أصابهم من تبلد الإحساس، وتحريف كلام ربّ النّاس، وتحريم ما أحل، وتحليل ما حرم، فمن فعل ذلك فقد أصيب بلوثة الأمّة الغضبيّة، وعلى علماء المسلمين ألا يحرفوا كلام الله ودينه لا سيما ما نراه من بعض المفتين اليوم من تزوير الفتاوى، خاصة في شأن فلسطين وأهلها من أنّه يجب عليهم ألا يجاهدوا اليهود وحلفاءهم، وأن لا تخرج الشعوب الأخرى لنصرتهم لأن كل مخطط استعماري من بقايا سايكس بيكو ينبغي أن يبقى خاضعاً لرسوم المفتين الضالين.

ياسر برهامي

٢ المصدر السابق.

وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقال: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة ١٣]. وقال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

فانظر أيّها العالم حقاً أو المتلبس بالعلم زوراً ولأسياده عبودية ورقاً، يا من انتسبت إلى الملة الغراء والحنيفية السمحاء، إلى ما ذمّ الله به علماء الكتاب وأحبارهم حينما حرفوا كلامه عن مواضعه ولم يصدقوا في تبليغه على الوجه الذي أمر الله تعالى به، فقد جمع لهم من الخزي والبغض والتشويه ما لم يجمعه لأحد من العالمين:

أولاً: الذم الشديد في بيعهم لدينهم مقابل دنيا غيرهم ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧-١٨٨].

ثانياً: تحريفهم لكلام الله تعالى المنزل على أنبيائه بعد فهمهم إياه وتعلمهم له وتبصرهم في فقهه ولكن عميت قلوبهم فانتكسوا ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

فتحريفهم كان بعلم وليس عن جهل، وبسابق إصرار وترصد، طمعاً بما في أيدي الملوك والسلاطين، وإشباعاً لرغبات المنتفعين من الشعوب لينالوا حظوة المشيخة والعلمائية عندهم.

ثالثاً: نقضهم لمواثيق الحق سبحانه، فكلما أخذ الله منهم الميثاق لتبليغ رسالات الله نقضوا تلك المواثيق وجعلوا ما أمرهم به وراء ظهورهم. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]، سبحان الله لقد استووا في كتمانهم مع أهل الجهل، كأنّهم لا يعلمون.

رابعاً: يحرفون النّصوص ثم يقولون بأن هذا المعنى هو الذي قاله الله وأراده الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

فكانت عقوبتهم -عائذاً بالله- النار وبئس القرار ﴿فَوَيْلٌ لَّهُمْ﴾، وعوقبوا باللعن والطرد من رحمة الله تعالى ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾، وعوقبوا بقسوة القلوب، وما أقساها من عقوبة لا يستفيق نشوان الهوى والضلال منها إلا في قعر جهنم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، قلوب لا يلج فيها نور الهدى والحق، ولا تسبح فيها إلا ظلمات الهوى والشهوات وحلك الشبهات.

نموذج صارخ من نماذج التحريف

ففي الموطأ والصحيحين من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: إن الْيَهُودُ جاءوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ قَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ، إِنَّ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ! فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فقرأ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: ارْفَعْ يَدَكَ! فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرُجِمَا.قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قصدوا في جوابهم تحريف حكم التوراة والكذب على النبي ﷺ، إما رجاء أن يحكم بينهم بغير ما أنزل الله، وإمّا لأنّهم قصدوا بتحكيمه التخفيف عن الزانيين واعتقدوا أن ذلك يخرجهم عما وجب عليهم، أو قصدوا اختبار أمره، لأنه من المقرر أن من كان نبياً لا يقر على باطل، فظهر بتوفيق الله نبيه كذبهم وصدقه، ولله الحمد»[٣].

---

٣ فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ١٦٨ ط السلفية).

ومعلوم أنّ بعض مَن ينتسب إلى العلم زعم أنّ لا جهاد دفع على حكام العرب وشعوبهم الذين ليسوا في فلسطين، لأنهم غير مطالبين به! وقد افترى هذا على الدين وخالف الوحي المبين وإجماع المسلمين، فإننا والله نخشى أن الأمة كلها آثمة لأنها تركت أصلاً جهاد الطلب الذي هو فرض كفاية على الأمة، فلما قامت فئة تدفع عن نفسها العدو الجاثم المحتل على أرضها، استفاقت أبواق الفتوى المضلة لتزيد الأمة تخديراً والمقاومة تخذيلاً.

«وممن نقل الإجماع: أبو بكر الجصاص (٣٧٠هـ)؛ حيث يقول: «ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين، أنه إذا خاف أهل الثغور[٤] من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة؛ إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم»[٥].

- وابن حزم (٤٥٦هـ) حيث يقول: «واتفقوا أن دفاع المشركين وأهل الكفر عن بيضة الإسلام[٦] وقراهم وحريمهم إذا نزلوا على المسلمين فرض على الأحرار البالغين المطيقين»[٧].

- وإمام الحرمين (٤٧٨هـ) حيث يقول: «فأما إذا وطئ الكفار ديار الإسلام فقد اتفق حملة الشريعة قاطبةً، على أنه يتعين على المسلمين أن يخفوا ويطيروا إلى مدافعتهم زَرَافاتٍ»[٨].

---

٤ الثُّغُور: جمع ثَغْر. وهو موضع المخافة من العدو. وهي البلاد المتاخمة للعدو من المشركين وأهل الكتاب التي يُخيف العدو أهلها ويُخيف أهلها العدو. انظر: طلبة الطلبة (ص١٧٨).

٥ «أحكام القرآن» للجصاص (٤/ ٣١٢).

٦ بيضة الإسلام: مجتمعه وحوزته على طريق الاستعارة والتشبيه. انظر: «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» (ص ٤٩٨)، و«معجم مقاييس اللغة» (١/ ٣٢٦).

٧ «مراتب الإجماع» (ص ٢٠٠).

٨ «غياث الأمم» (١/ ١٩١). ومعنى الزَّرافات: الجماعات. انظر: «لسان العرب» (٩/ ١٣٣)، مادة (زرف).

- والقرطبي (٦٧١هـ) حيث يقول: «إذا تعيّن الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو بحلوله بالعقر[٩] فإذا وجب على جميع أهل تلك الدار أن يخرجوا خفافاً وثقالًا، شبانًا وشيوخًا، كل على قدر طاقته.. حتى يظهر دين الله وتُحمى البيضة وتُحفظ الحوزة[١٠] ويُخزَى العدو، ولا خلاف في ذلك»[١١].

- وابن عطية (٥٤١هـ) حيث يقول: «الذي استقرّ عليه الإجماع أنّ الجهاد على كلّ أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذٍ فرض عين»[١٢].

- وحكى الاتفاق أيضًا ابن القطان الفاسي (٦٢٨هـ)[١٣].

- وشيخ الإسلام (٧٢٨هـ) حيث يقول: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين.. فواجب إجماعًا»[١٤].

- وقال رحمه الله أيضًا: «فأما إن هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه، فإنّ دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعًا»[١٥].

- والمرداوي (٨٨٥هـ) حيث يقول: «ومَن حضر الصف من أهل فرض الجهاد، أو حضر العدو بلده تعيَّن عليه بلا نزاع»[١٦].

---

٩ العقر: من قولهم: عقر الدار وهي أصلها، وقيل: وسطها. انظر: «لسان العرب» (٤/ ٥٩١)، مادة (عقر).

١٠ الحوزة: كل ما يدخل في حيِّزك ويجب عليك حفظه ومنه حوزة الإسلام لما يدخل في حدوده ونواحيه مما يجب أن يمنعه المسلمون ويحفظوه. «لسان العرب» (٥/ ٣٣٩)، مادة (حوز).

١١ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٠١/ ٢٢٣).

١٢ أورده القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٣٨).

١٣ «الإقناع في مسائل الإجماع» (٣/ ١٠١٥).

١٤ «الاختيارات الفقهية» (ص ٣٠٩).

١٥ «الفتاوى المصرية» (٤/ ٥٠٧).

١٦ الإنصاف (١٠/ ١٤).

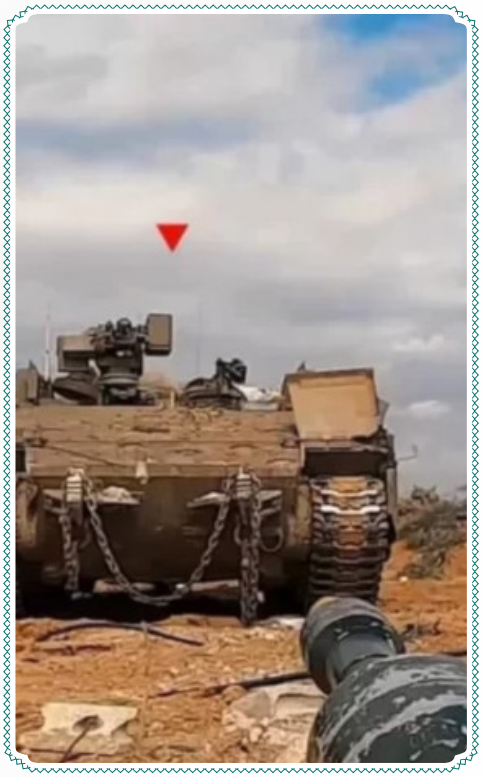

- الموافقون للإجماع: وافق الحنفية[١٧]، والمالكية[١٨]، والشافعية[١٩]، والحنابلة[٢٠]، والظاهرية[٢١] على تعين الجهاد في هذه الحالة.

ومستند الإجماع: دلَّ على هذا الحكم أدلة كثيرة، منها ما يلي:

١ قول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٢ وقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٥٧].

فقد دلّت هاتان الآيتان على أن قتال مَن قاتل المسلمين، وحماية المستضعفين، ونصرة المظلومين واجبٌ شرعي حتى ينكفئ المعتدون ويُنْتَصَرَ للمظلومين.

٣ وقوله عز وجل: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٤].

٤ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[٢٢].

---

١٧ انظر: «بدائع الصنائع» (٧/ ٩٨)، و«البناية في شرح الهداية» (٦/ ٤٩٣). ١٨ انظر: «مواهب الجليل» (٤/ ٩٩)، و«الشرح الكبير» (٢/ ١٧٤).

١٩ انظر: «الأم» (٤/ ١٧٠)، و«الوجيز» (٢/ ١٨٩). ٢٠ انظر: «المغني» (١٣/ ٨). ٢١ انظر: «مراتب الإجماع» (ص٢٠٠).

٢٢ من حديث أنس بن مالك أخرجه أبو داود (٢٥٠٤)، وأحمد (١٣٢٦٨) واللفظ لهما، والنسائي (٣٠٩٦) باختلاف يسير. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥٠٤).

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة في الأمر بالجهاد، ولا شك أن الأمر بالجهاد في حالة هجوم الأعداء على بلاد المسلمين يدخل دخولًا أوليًا في مدلولها.

النتيجة: الإجماع متحقق حيث لم أجد من خالف في ذلك من أهل العلم، والله تعالى أعلم.

قال ابن قدامة رحمه الله: «(والجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به قوم، سقط عن الباقين) ومعنى فرض الكفاية، الذي إن لم يقم به من يكفي، أثم النّاس كلّهم، وإن قام به من يكفي، سقط عن سائر النّاس. فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع، كفرض الأعيان، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره، والجهاد من فروض الكفايات (أي: جهاد الطلب)، في قول عامة أهل العلم»[٢٣].

فهذا جهاد الطّلب الذي دلّت النّصوص المتضافرة على وجوبه.. فكيف بالدفع المتفق على فرضيته والذي لا يجوز لأحد أن يتخلف عنه ممن حل العدو دارهم؟ ولو كانت امرأةً أو أعمى، صغيراً أوكبيراً، حرّاً أوعبداً.

يقول (ابن المناصف) في كتابه الإنجاد في أبواب الجهاد وجهاد الدفع: «أصعب من جهاد الطلب، فإن جهاد الدفع يشبه باب دفع الصائل، ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: ٣٩]».

٢٣ المغني (٩/ ١٦٣).

قال ابن القيم: «فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعمّ وجوباً، ولهذا يتعيّن على كل أحد، يجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق.

ولا يُشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضِعْفَي المسلمين فما دون؛ فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين، فكان الجهاد واجباً عليهم؛ لأنه حينئذٍ جهاد ضرورة ودفع، لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع، وهل تُباح في جهاد الطلب إذا خاف فوت العدو ولم يخف كرّته؟ فيه قولان للعلماء، هما روايتان عن الإمام أحمد.

ومعلوم أن الجهاد الذي يكون فيه الإنسان طالباً مطلوباً أوجب من هذا الجهاد الذي هو فيه طالب لا مطلوب، والنفوس فيه أرغب من الوجهين.

وأما جهاد الطلب الخالص؛ فلا يرغب فيه إلا أحد رجلين: إمّا عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كلّه لله، وإما راغب في المغنم والسَّبي.

فجهاد الدفع يقصده كل أحد، ولا يرغب عنه إلا الجبَان المذموم شرعًا وعقلًا (قلتُ: فاقعدوا مع القاعدين أيها المفتون المفتونون! لأنكم لو خرجتم في هذه الفئة المؤمنة المجاهدة في فلسطين لخذلتموهم ولأرجفتم فيهم بالأكاذيب والتثبيط، فاقعدوا فأنتم الطاعمون المكتسون بسرابيل دراهم الحكام الذين باعوا آخرتهم بدنيا

عدوهم) وجهاد الطَّلَب الخالص لله يقصده سادات المؤمنين، وأما الجهاد الذي يكون فيه طالبًا مطلوبًا، فهذا يقصده خيار الناس؛ لإعلاء كلمة الله تعالى ودينه، ويقصده أوساطهم للدفع ولمحبة الظَّفر»[٢٤].

يقول الشيخ ابن عثيمين: «ويكون جهاد الكفار باليد واجباً متعيناً في أربع حالات هي:

١. إذا حضر المسلم الجهاد.
٢. إذا حضر العدو وحاصر البلد.
٣. إذا استنفر الإمام الرعية يجب عليها أن تنفر.
٤. إذا احتيج إلى ذلك الشخص ولا يسد أحد مسدَّه إلا هو.

فيجب الجهاد ويكون فرض عين إذا حضر الإنسان القتال وهذا هو الموضع الأول من المواضع التي يتعين فيها الجهاد، لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

وقد أخبر النبي ﷺ: أن التولي يوم الزحف من الموبقات حيث قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وذكر منها: «التولي يوم الزحف»[٢٥]. إلا أن الله تعالى استثنى حالتين:

---

٢٤ الفروسية لابن القيم (ص١٨٧) المحقق: (مشهور بن حسن آل سلمان).
٢٥ متفق عليه.

- الأولى: أن يكون متحَرّفاً لقتال. بمعنى أن يذهب لأجل أن يأتي بقوة أكثر. (قلت: فهل هؤلاء المرتدون الذين خرجوا عن إخوانهم في فلسطين في دفعهم العدو، وانحازوا للعدو نفسه، مسلمون؟ كلا والله ما هم كذلك).

- الثانية: أن يكون منحازاً إلى فئة بحيث يذكر له أن فئة من المسلمين من الجانب الآخر تكاد تنهزم فيذهب من أجل أن يتحيز إليها تقوية لها، وهذه الحالة يشترط فيها: أن لا يخاف على الفئة التي هو فيها، فإن خيف على الفئة التي هو فيها فإنه لا يجوز أن يذهب إلى الفئة الأخرى،فيكون في هذه الحالة فرض عين عليه لا يجوز له الانصراف عنه.

- الثالث: إذا حصر بلده العدو فيجب عليه القتال دفاعاً عن البلد، وهذا يشبه مَن حضر الصف في القتال؛ لأن العدو إذا حصر البلد فلا بد من الدفاع؛ إذ إن العدو سيمنع الخروج من هذا البلد، والدخول إليه، وما يأتي لهم من الأرزاق، وغير ذلك مما هو معروف، ففي هذا الحال يجب أن يقاتل أهل البلد دفاعاً عن بلدهم.

- الرابع: إذا قال الإمام انفروا، والإمام هو وليّ الأمر الأعلى في الدولة، ولا يشترط أن يكون إماماً للمسلمين؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة، والنبي ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي». فإذا تأمر إنسان على جهة ما صار بمنزلة الإمام العام، وصار قوله نافذاً، وأمره مطاعاً»[٢٦].

قلت: وأهل فلسطين وليّ أمرهم هي حركة المقاومة الإسلامية، التي أخذت الإمارة بالانتخاب الحرّ، ثم بسواعد المجاهدين، نصرهم الله، فلتخرص الألسن المحرفة للحق، المثبطة لأهل الرباط، فاللهم نصراً من عندك تعجز البشرية الظالمة عن دفعه! آمين. والله أعلم.

---

٢٦ انتهى من الشرح الممتع (١٠/٨).

الشيخ محمد بن محمد الأسطل

من علماء غزة

في غمرات الطوفان (٧)

هل يمكن أن ننتصر ونحن على خبثٍ وذنوب؟

يقول السائل: هل يمكن أن نخرج من هذه المعركة بنصرٍ ونحن نرى ما نرى من مظاهر الذنوب، كالسرقات وبعض صور التجرؤ على الحرمات وكحالة الاستغلال من التجار؟

والجواب: الحمد لله، وبعد:

فإنَّ التخففَ من الذنوب من أهم أسباب النصر، ولهذا كان الربيون يقدمون بين يدي دعائهم بالنصر الدعاء بمغفرة الذنوب والإسراف في الأمر، وجاء امتداحهم بذلك كما في قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

وهذا إيذانٌ بأنَّ التخففَ من الذنوب يُثَبِّتُ قدمَ المجاهد في المعركة، ويُمَكِّنُهُ من الإثخان في عدوه والانتصار عليه بإذن الله تعالى وفضله، وفي المقابل فإنَّ الذنوب قد تضعف الأقدام وتوجب الهزيمة.

والتوبة تهدم الذنوب، ولهذا من كان من المجاهدين على ذنوبٍ فإنه يهدمها بالتوبة والاستغفار، وكذا بالحسنات الماحية والتي يأتي في مقدمتها نفس ما يشتغل به من الجهاد، فهذا يجعله أدنى من التوفيق، وأن يُجرِيَ الله على يديه من الإثخان في العدو ما يرفع به مقامه عند ربه، وما يبتهج به المسلمون بإذن الله وفضله.

والظن بالله أنَّ المجاهدَ متى خرج من ثغره ولاقى العدو وثبت وضرب فلا أحسب سيئةً تبقى عليه، أصاب العدوَّ بضربته أو لم يصب، رجع أو لم يرجع، بل الظن أن مقامه والحال هذا مقام رفعة في الدرجات أكثر من كونه مقامَ تكفيرٍ للسيئات؛ لأن المستفيض الغالب فيمن يبلغ ذلك أنه يكون ممن آمن وتاب وعمل صالحًا.

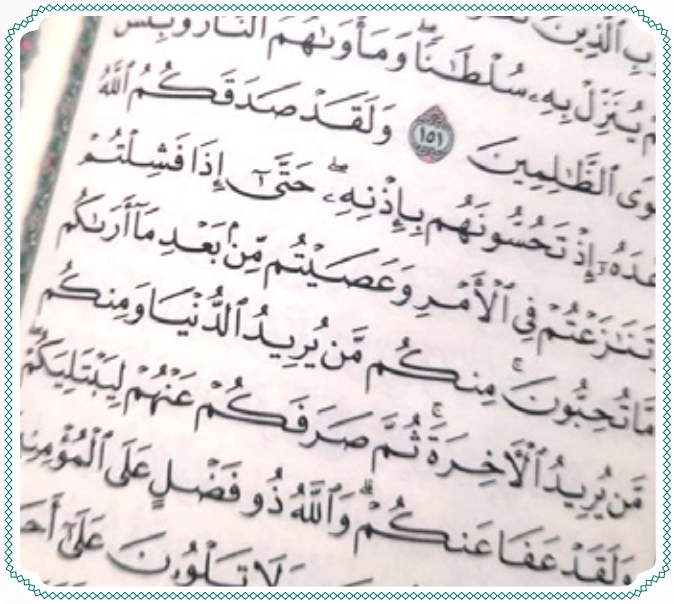

إلا أنَّ النصرَ له جملةٌ من الأصول والمعالم التي تُؤخَذ من سُنة الله فيه، وهذا يتشعب في جملةٍ من المسارات، وسؤال السائل يتعلق بأحد هذه المسارات وهو: هل يمكن أن يحصل النصر وفي الناس من الذنوب ما يمكن أن يوجب الهزيمة؟

والجواب يمكن أن يتفرع الكلام فيه لكني أكتفي من ذلك بأمرين:

- **الأول:** أن العبرة لما غلب، ومادة الخير هي الأصل في هذا البلد، فأكثر الناس إما مجاهدٌ وإما صابرٌ، وما تخرج من كلمات السخط وضعف الصبر من كثيرٍ من الناس تحت وطأة ضراوة المعركة فيُرجى ألا تعود على أصل الإيمان ومادة الصبر والجهاد بالبطلان، بل هي من الذنوب التي عسى أن تُغفرَ بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

- **الثاني:** أنَّ درجةَ المؤاخذة الشرعية بحق أخطاء أمةٍ ما يُعتبر فيه الحال باعتبار حال أهل الزمان.

ويُستأنس في تقرير هذا المعنى: بما روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنكم في زمانٍ من ترك منكم عُشْرَ ما أُمِر به هلك، ثم يأتي زمانٌ من عمل منكم بِعُشر ما أُمِر به نجا»[1].

---

١ سنن الترمذي، رقم الحديث: (٢٢٦٧). ضعفه الألباني.

فالنظر اليوم لا يتمحض داخل البلد بعد انتشار الخبث بوجود أصحاب السرقة وقطع الطريق وأصحاب الابتزاز والاستغلال من التجار وغيرهم؛ ولكن يتم النظر مع عموم أحوال المسلمين؛ فكثيرةٌ هي البلاد التي يفشو فيها الربا، ويكثر فيها الزنا، ويعتاد كثيرٌ من الناس فيها على شرب الخمور والمخدرات، وقد تركوا الجهاد، واستكانوا إلى الدنيا والتنافس فيها وما إلى ذلك.

أما أهل هذا البلد فالصلاح هو الحالة الغالبة على أهله، وأكثر الناس لم ير في حياته شكل الخمر أو المخدرات، وقد عصمه ربه بفضله سبحانه من الربا ومن الفواحش، وهو مرابطٌ مجاهدٌ ينتظم في الأعمال الجهادية سواء كان ممن يحمل السلاح أو لا، مع التزامٍ كريمٍ بالصلاة في المسجد وتربية الأولاد على الفضيلة وحفظ القرآن وغير ذلك.

فالبلد حين يوزن بغيره تستطيع أن ترجو أن يكون أهله قد اصطفاهم الله للمقامات الفاضلة من إعزاز الدين وإذلال الكافرين.

ومن الشواهد على ذلك المعنى: ما حدثتنا به سورة البقرة من قصة الفتح الثاني على يد طالوت، وخلاصة القصة -وأرجو أن تتأمل الدلالة جيدًا-:

طلب الملأ من بني إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون خلفه في سبيل الله، ويبدو أنه كان يتوجس منهم خيفةً لمعرفته بطبيعتهم

فعرَّض لهم بخشيته ألا يقاتلوا إذا فُرض عليهم القتال إذ قال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: ٢٤٦]، والمعنى: راجعوا أنفسكم قبل أن تطلبوا هذا الطلب.

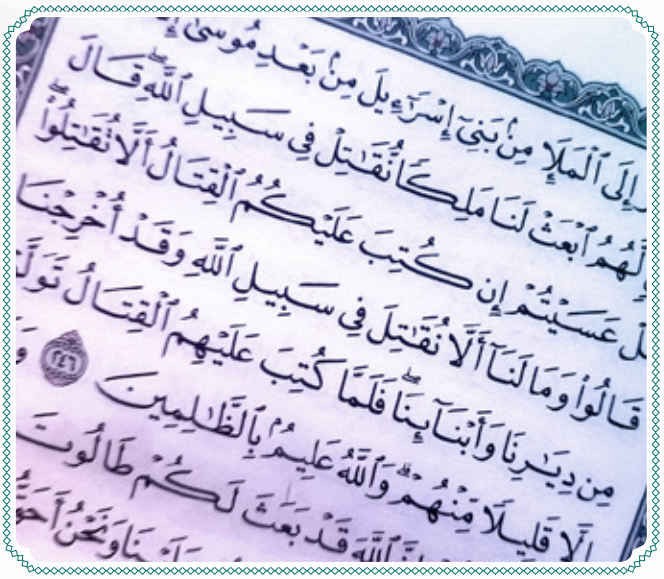

فقالوا متعجبين: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] يشيرون بذلك إلى أنه لا يوجد أي صارفٍ لهم عن القتال، فالدوافع موجودة والبواعث متوفرة، ومصيبة إخراجهم من الديار والحيلولة بينهم وبين أبنائهم تحرضهم على القتال، وتجعله الطريق الوحيد لعزتهم لإمكان الرجوع إلى الديار والأبناء.

فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلًا منهم، وحصل ما توقعه نبيهم منهم.

ومن اللافت أنَّ الله سماهم ظالمين بسبب هذا النكوص مع أنهم مظلومون مُخرَجون من ديارهم، ولعل السر في ذلك: أن الذي يُظهِرُ الضعفَ والانحناء يُغرِي عدوه بدوام البغي والاعتداء، فهو ظالمٌ في صورة مظلوم.

ثم إنَّ السياق يُفهِمُ أنَّ النخبة التي لم تنكص عن القتال بعد أن فرض اختُبِرت بأن الملك الذي تم تعيينه قائدًا عليهم هو طالوت، ولم يكن من سبط يهوذا الذي يأتي منه الملوك في بني إسرائيل عادة، فاختُبِرُوا بمجيء القائد على خلاف التركيبة الاجتماعية التي يعرفون، فرفضوا القائد مع أن الذي سمَّاه وعيَّنه هو الله جلَّ جلاله!

وحين مضى طالوت بمن رضي القتال بعد هاتين المحطتين اللتين لا تُبشران بخير أراد أن يختبرهم بأمرٍ من الله لئلا يفروا لحظة المواجهة كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]!

فهنا انسحب أكثر الجيش كما انسحب أغلب القوم أول مرة حين فرض عليهم القتال، ولم يبق إلا قلة القلة وكانوا بِعِدَّةِ أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر مجاهدًا!

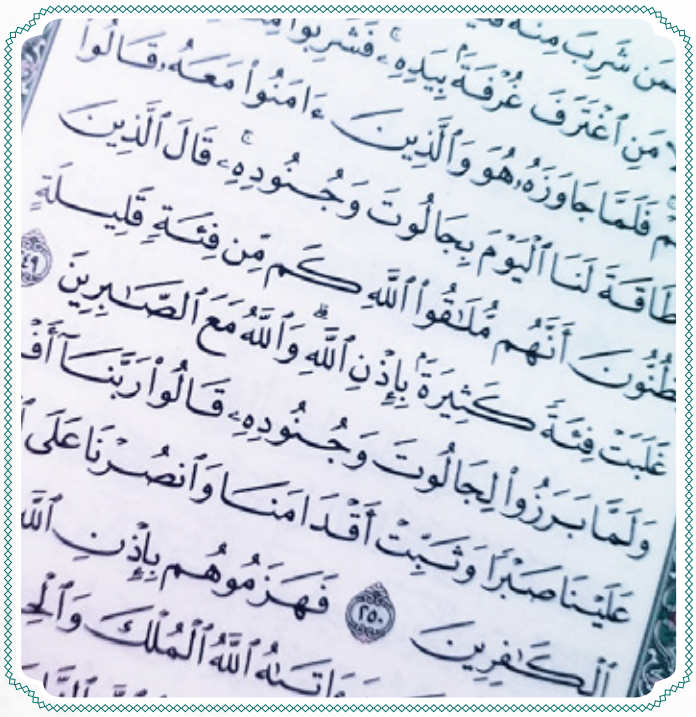

وهذه النخبة التي هي نخبة النخبة لما تجاوزت هذا الاختبار قالت على سبيل التوجس والوجل عند قرب ملاقاة العدو: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]!

فذكَّرتهم نخبةُ نخبة النخبة من الذين يظنون أنهم ملاقو الله وأخذت تقول لهم: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وهنا أتوقف لأقول: الذي يقرأ المشهد من أول السياق لو كان يقظًا لوقع في نفسه صعوبة النصر، وذلك بسبب شدة الوهن الذي أصاب القوم كلهم إلا قليلًا، والذي كان ينكص أو ينسحب أو يضعف هم الكثرة في كل جولة في مقابل القلة، بحيث لم يبق عند الوصول إلى ساحة المعركة إلا ما يزيد

قليلًا عن ثلاثمائة شخص بما يعادل نصف كتيبة من الكتائب المقاتلة عندنا في البلد، أمام أمة قاعدة فشلت في الاختبارات السابقة.

ومع هذا كله لو أكملت السياق وكنت يقظًا وتخطر ببالك هواجسُ قوانينِ النصر لفاجأك قول الله بعدها: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٠، ٢٥١]!

فما الذي جرى؟!

لعل من أهم أسباب النصر أنَّ الفئةَ الثابتةَ كانت هي خير أمة بني إسرائيل يومئذ، ولعلها كذلك كانت خير أهل الزمان جملةً؛ إذ إنَّ القرآن جاء في غير موضع يذكر أفضلية بني إسرائيل بالنسبة لأهل زمانهم كما في قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

فلو كان الاحتكام في قوانين النصر للحالة الفاضلة المطلوبة في الاستقامة والصلاح لما حصل النصر فيما يظهر، ولكن موازنة الرجال جاءت هنا بحسب حال الأمة المتقاعسة، وحسب الزمان الذي هم فيه، حتى فتح الله على يد القلة المؤمنة الثابتة التي أكملت الطريق.

والمقصود: أنَّ النصرَ يمكن أن يُكرِمَ الله به أهل غزة، حتى لو شهدت الساحة بعض الذنوب، وذلك أن المجاهدين هم من أكثر الناس صلاحًا وبرًّا وإقبالًا على الشهادة في سبيل الله.

ومما قاله أحد قادة المعركة: إن جميع المجاهدين الذين تم الاتصال بهم ليلة العملية ليستعدوا للتنفيذ من غير أن يكونوا على علمٍ سابقٍ بتفاصيلها لم يعتذر أيٌّ واحدٍ منهم، ولم يكن يفصلهم عن الاستعداد للشهادة إلا بضع ساعات!

ثم إنَّ القياس مع بني إسرائيل قياس مع الفارق، فإذا كان الله قد نصر صفوة بني إسرائيل على ما تم من الوصف من حال عموم الأمة الإسرائيلية التي نكصت عن القتال يومئذٍ مع أنهم هم الذين طلبوه.. فإنَّ النصرَ في حق هذا البلد أرجى بإذن الله، فإن السواد الأعظم من أهل هذا البلد قد تبنوا خيار الجهاد، وقدموا أبناءهم مجاهدين في سبيل الله، وكثيرٌ منهم قد قضى نحبه، وما زالوا في مواقعهم ثابتين مرابطين مجاهدين.

ولولا الحاضنة الشعبية التي تبنت خيار الجهاد -بعد فضل الله- لما استطاع المجاهدون أن يفعلوا ما فعلوا، وهذا كلامٌ من الحق الذي لا مبالغة فيه.

أما ما يحصل من تقصيرٍ أو ذنوبٍ فالظن بالله الكريم أن يُغفر وأن يتجاوز الله عن المذنبين والمسرفين والمقصرين، وأن تكون شدائد المعركة محققةً للذنوب رافعةً للدرجات.

وأحسب أن الحالة الإيمانية التي كوَّنتها المعركة جعلت كثيرًا من الناس على حساسيةٍ شديدةٍ من الذنوب وأشكال التقصير.

ومع هذا أقول: إذا نزل البلاء بفردٍ أو بمجتمعٍ أو بأمةٍ ففيه من الله رسالتان: كرامةٌ لصاحبه على قدر ما فيه من خير، وعقوبةٌ له على قدر ما فيه من تقصيرٍ بالأسباب أو شر.

فالسنن يمكن أن تتداخل كما يأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

والمصيبة إذا نزلت قد تمحض في حق بعض الناس ابتلاءً وكرامة، وقد تمحض في حق بعض الناس بلاءً وعقوبة.

وعقب الذي تقرر، فإنَّ النظر القويم -فيما يظهر- هو الموازنة بين الذنوب وما يقرر فيها من جلب الهزيمة، وبين عزائم الأعمال والتي منها الجهاد في سبيل الله مع اعتبار حال الأمة.

وبلغةٍ أوضح: لو جئنا إلى الميزان ووضعنا البلد في كفة ثم وضعنا في الكفة الأخرى أشرار البلد؛ فإنَّ الخبثَ الموجود ليس قليلًا، وهنا يُخاف من الهزيمة، لكننا لو وضعنا هذا البلد بحسناته وسيئاته ثم وضعنا في الكفة الأخرى حال الأمة التي كُبلت بفعل الأنظمة عن الجهاد في سبيل الله، وانشغل كثيرٌ من أبنائها بالتافه من الفعل.. فإن هذا البلد يبدو في ذروة العظمة.

والمقصود: أن النصر يمكن أن يحصل لهذا البلد، ويكون نصرًا عظيمًا بإذن الله؛ إذ الصلاح غالبٌ في الناس، وهو المستفيض من حالة المجاهدين، وما يقوم به أهلُ البلد من المرابطة في المواقع الجهادية والمدافعة عن المقدسات يأتي في زمانٍ ترك أكثر أهله الجهاد في سبيل الله، إما بفعل الغفلة، أو بسبب تكبيل الأقدام عن المضي للجهاد بفعل الأنظمة الجاثمة على صدور شعوب الأمة.

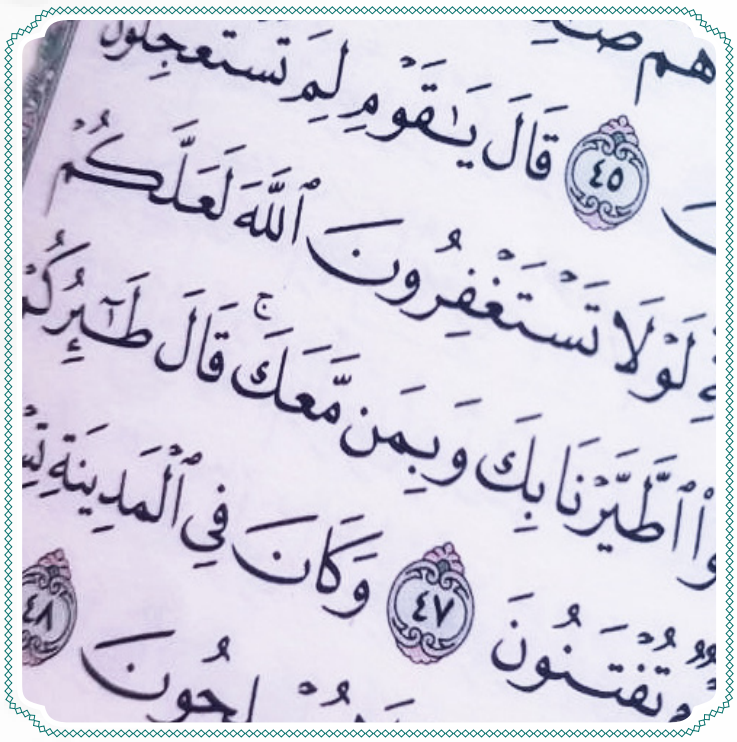

والخطاب المناسب إزاء ما تقرر:

- أننا نستغفر الله من ذنوبنا ونرجو رحمته ونصره وتوفيقه، ونحسن الظن بالله الذي عودنا فضله في كل مرة أن ينصرنا هذه المرة.

- وننظر بالعين الأخرى إلى الذنوب فنرجع على أنفسنا باللائمة والتوبة والاستغفار والاستكثار من الحسنات الماحية وتحمل المصائب المكفرة، وندعو الآخرين إلى ذلك، ونقول لمن يجهر بشيءٍ من الذنوب: من هنا تأتي الهزيمة، ونعظه بالتوبة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد يتأخر النصر حقًّا بسبب الذنوب، وقد تأتي الهزيمة حقًّا إذا كثر الخبث وغلب.

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

اللهم إنا نستغفرك من كل ذنبٍ يؤخر النصر عنا، ويسلط العدو علينا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

هذا والله أعلم، ونسبة العلم إليه أسلم، والحمد لله رب العالمين.

عماد إبراهيم
مدير مشروع بصيرة الدعوي

سلاحنا كرامتنا

نحرر به الأرض ونصون به العِرض

فالزم سِلاحكَ لا يغيبُ بريقُه .. إنّ السلاحَ وَسامةُ الفُرسانِ
وبه التفاوض والحوار مدَعّمٌ .. وبتركه نفنى مع الشجعانِ
فسلاحُنا عزّ لأهلِ بصيرة .. سلكوا طريق المجد دون توانِ

الحمد لله معز أوليائه المؤمنين، وناصر المستضعفين ومعلي راية الدين، وقاهر المتجبرين، والآمر بالجهاد في سبيله إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على مَن أعلى الله منار الإسلام بسيفه، نبينا وقدوتنا وقائدنا محمد ﷺ إمام المجاهدين وخاتم الأنبياء والمرسلين.

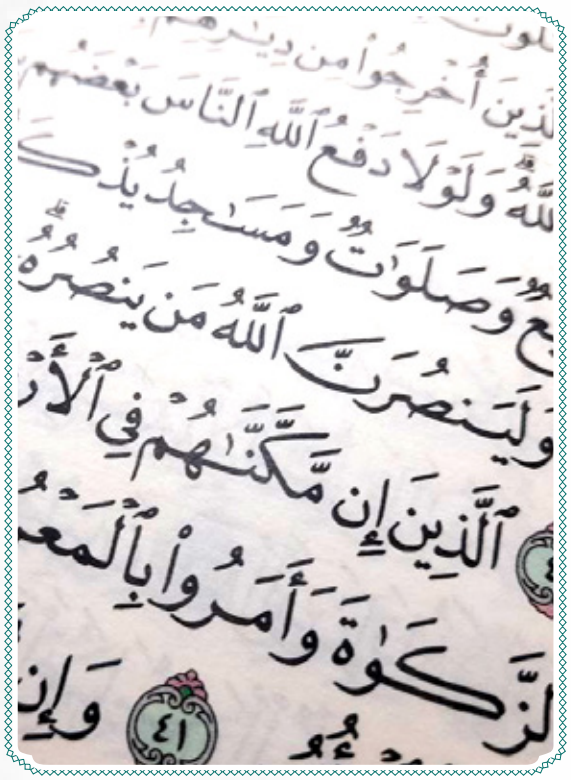

إن من سنن الله تعالى في عباده أن لا ينتصر هذا الدين ويعلو إلا على يد عباده المجاهدين المتجردين الثابتين على الحق، السائرين على صراطه المستقيم حتى ولو خذلهم أو خالفهم العالم أجمع، ولأجل هذا كتب الله تعالى الابتلاء على عباده وعدّد ونوّع في الفتن ليميز الخبيث من الطيب وينقي فسطاط المؤمنين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾. وكذلك وعد الله عباده المؤمنين بالنصر المبين، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

القوة أضمن طريق لإحقاق الحق

ليس خافيًا على أحد من العالمين أن ما يُسمى بالمجتمع الدولي اليوم لا يحترم إلا الأقوياء، ولا يخضع إلا لمنطق القوة. وإن كانت القوة الحقيقية بمعناها الشامل تتضمن جوانب عسكرية واقتصادية وسياسية وعلمية، فإننا نجد أن القوة الخشنة التي تنبني على القوة العسكرية والأمنية، المشمولة بسياسة حكيمة واعية، تظل الركيزة الأولى التي تتقدم على سائر أشكال القوة.

وقد أمدتنا التجارب التاريخية والمعاصرة بالعديد من الأدلة التي تبلغ حدّ التواتر والقطع على ثبوت هذه الحقيقة واستقرارها، ولقد سعد هذا الجيل بتوافر هذه الشواهد الواقعية البالغة في الإقناع حدّ الإشباع، لكنه لم يسعد -إلا في القليل النادر من النماذج- بثمرتها وفوائدها، وهذه النماذج ذاتها صارت من مجموع الأدلة والشواهد.

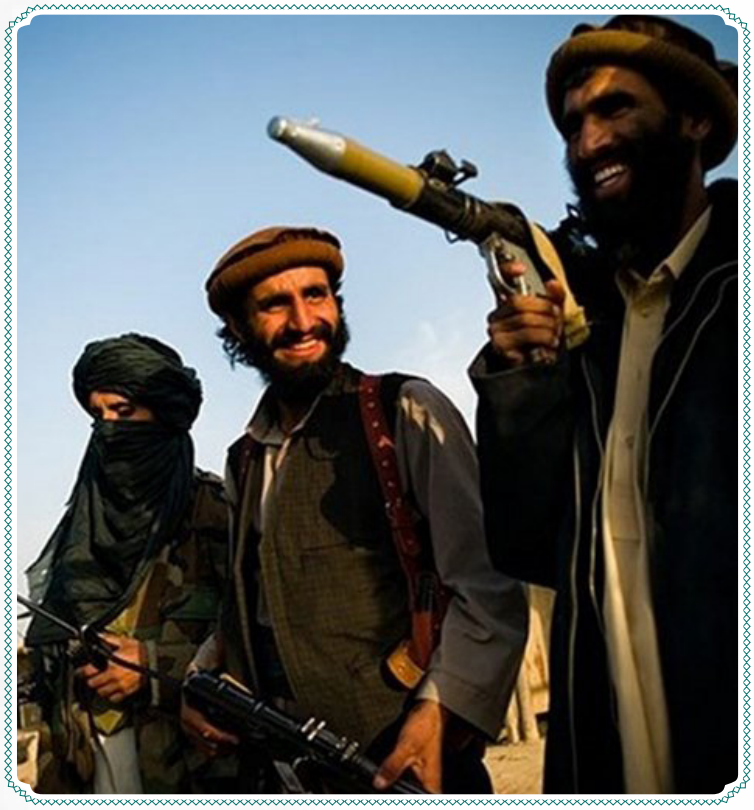

- **وأول هذه النماذج: تجربة المقاومة الفلسطينية، والتي رغم التحديات، لا تزال صاعدة وواعدة وملهمة.**

- **وثانيًا: تجربة حركة طالبان، التي عادت** بعد نسيان طويل لتجلس بندية شامخة على طاولة المفاوضات مع القوى العظمى، ممثلةً في الولايات المتحدة حتى انتزعت حقوقها وحريتها وبدأت مرحلة بناء الدولة خارج عباءة النظام العالمي الطاغوتي.

- **وثالثًا: ما يسطره السوريون والأتراك اليوم جنباً إلى جنب في سوريا،** والذي يعد إرهاصاً لميلاد قوة جديدة مؤثرة على المسرح الدوليّ بإذن الله.

إن الإسلام يحرص أن يكون المسلمون أقوياء حتى يحافظوا على حقوقهم، ولا يطمع فيهم عدو من أعدائهم، لأن الضعيف يُطمع فيه، لانعدام قوة تحميه فتضيع حقوقه، أو تكون مهددة بالضياع في أي وقت، ورحم الله القائل: «القوة أضمن طريق لإحقاق الحق»، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب،

فالحق دون قوة تحميه ضائع، والقوة بلا حق ظلم وعدوان، والإسلام حرم الظلم والتفريط بالحقوق. وخير وسيلة تحرص عليها الدول للمحافظة على أمنها وعلى حدودها وعلى مصالحها أن تكون قوية مرهوبة الجانب، فلا يجرؤ أحد على النيل منها أو الاعتداء عليها، لوجود قوة تروعه وتصده. بل إن المحافظة على الأمن والسلام لا تكون إلا بالقوة، والمسالم الضعيف لا وزن له، والمحايد لا وزن لحياده إن لم يكن قوياً. والواقع الدولي اليوم يؤكد صدق المقولة: «إن خير وسيلة للمحافظة على السلام أن تكون قوياً».

نزع السلاح أم نزع الإرادة؟!

ضجت مواقع التواصل الاجتماعي مؤخراً بطرح الاحتلال لفكرة «نزع سلاح المقاومة» في غزة، كشرط للموافقة على خوض مفاوضات جديدة لوقف العدوان الصهيوأمريكي الغاشم على القطاع، وفقاً للمقترح الذي نقله الوسيط المصري لحركة المقاومة! وجاء الرد سريعاً وحاسماً من الحركة بأن سلاح المقاومة غير قابل للمساومة أو التفاوض، «وأننا لن نتخلى عن هذا السلاح، فإما أن نحرر به الأرض أو نفنى معه».

لم يساورني الشك لحظة واحدة بأن الحركة سترد بغير هذا الرد، هكذا يكون موقف أصحاب الدين الصحيح والعقيدة الراسخة والفهم الشامل لطبيعة الصراع بين الحق والباطل، وإدراك حقيقي للسنن الإلهية والعمل بمقتضاها والسير على نهجها. وكذلك كل الشواهد التاريخية تشير إلى أن كل القوى

التي وافقت على تسليم سلاحها في لحظات فارقة بوعود وضمانات كتابية بحمايتها، تعرّضت إما للإبادة أو السجن أو الطرد، سواء أكانت تلك القوى جماعات أو تنظيمات أو حركات أو حتى جيوش نظامية.

نعود بالزمن إلى الوراء قليلاً، سنجد منظمة التحرير الفلسطينية، التي وافقت على تسليم أسلحتها الثقيلة بعد حصار بيروت في ثمانينيات القرن الماضي، مقابل ضمان الخروج الآمن من لبنان، فتفرد الصهاينة وأعوانهم بالمدنيين وارتكبوا مذبحة صبرا وشاتيلا ١٩٨٢م.

وفي العام ١٩٩٥م، أعلنت الأمم المتحدة وبضمانات دولية مدينة سربينيتسا البوسنية مدينة منزوعة السلاح وتحت حمايتها، ووقع مسلمو البوسنة في فخ نزع السلاح وكانت النتيجة مأساوية، حيث دخل الصرب للمدينة وقتلوا أكثر من ٨ آلاف مسلم تحت مسمع ومرأى العالم!

إن السلاح عز وكرامة للمقاومين ومن دونه لا يتحقق تحرير ولا يدوم سلام، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لذلك لم يتركه الجزائريون ولم يتنازل عنه الليبيون ولم يفاوض عليه الأفغانيون.. وكذلك المقاومة الفلسطينية، لن تساوم ولن تفاوض عليه، والعدو يعلم ذلك علم اليقين. إذَن فلماذا يصر على هذا المطلب وهو يعلم أنه لن يتحقق أبدا؟!

وللإجابة على هذا التساؤل نحتاج إلى طرح عدة أسئلة أولاً:

هل تمتلك غزة سلاحاً يستحق التفاوض بشأنه؟!

هل تمتلك غزة طائرة حربية واحدة؟!

هل لدى غزة دبابات وراجمات صواريخ؟!

هل لدى غزة منظومة للدفاع الجوي؟!

هل لدى غزة صواريخ باليستية ؟!

هل لدى غزة غواصات بحرية؟!

هل لدى غزة أي سلاح استراتيجي تتفوق به على أصغر دويلة في المحيط الإقليمي؟!

الجميع يعلم الإجابة بكل تأكيد: بالطبع ليس لديها أي من هذه الأسلحة.

نعلم جيداً أن تسليح المقاومة الآن هو أقرب إلى تسليح شرطي وليس تسليحاً عسكرياً ثقيلاً، بالمعنى المتعارف عليه في العلوم العسكرية وتسليح الجيوش. وهنا تتضح الأمور أكثر، فالعدو لا يريد نزع سلاح المقاومة لعلمه مسبقاً باستحالة تحقيق ذلك، لذا انتقل إلى الحرب النفسية يجرّب حظه! متوهماً أنه قادر على خوض معركة من نوع أشد فتكاً والانتصار فيها على المقاومة، وهي معركة نزع إرادة القتال، فالسلاح يعوّض، لكن الإرادة إذا كُسرت لا تعوَّض.

فالحقيقة التي لا يمكن طمسها، هي أن الكيان المحتل لم ينكسر يوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م بالسلاح النوعي، بل بإرادة وعقيدة المقاومة في غزة الأبية، اللتان صهرتا فولاذ (الميركافا)، وقهرتا

أسطورة «الجيش الذي لا يُقهر».. والمجاهد الحق لا يعرف سوى التشبث بسلاحه على أرضه، فهو عزه وكرامته، وتجارب التاريخ حاضرة، والمجازر على مدار الساعة تُبث على الهواء مباشرة، والمحتل لا يشبع من الدماء بل يقتات عليها، فسلاح المقاومة هو صمام الأمان لصون الشرف والعرض والدين وقد أمرنا الله بذلك.. قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: «صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل»[1].

ويحضرني هنا موقف من مواقف العِزّة، خلال إحدى جلسات التفاوض التي ضمت وفد حركة (طالبان) آنذاك مع الوسطاء والأمريكان، حيث أدخل أحد القادة المفاوضين سلاحه الشخصي إلى قاعة المحادثات. وقد استنكر أحد الحاضرين هذا التصرف وطالب بإخراج السلاح، غير أن وفد الحركة رفض إخراجه، قائلاً: «لولا هذا -مشيراً إلى السلاح- ما جلستم معنا». قال الله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

هكذا يكون المسلم صاحب العقيدة الحق، الذي يُرغم المتعجرف على الانصياع، ويُجبر المعاند على الخضوع، ويُلزم المتجاوز بالتوقف عند حدوده. ويجب علينا أن لا ننسى دروس التاريخ فدروسه وعبره توضح

١ تاريخ الطبري.

لنا أن الشريط الوراثي لدى الحكومات الغربية، بُني على المكر والخداع وغطرسة القوة. إن دروس التاريخ لا تزال قريبة منا جداً.. لوزان - سايكس بيكو - بلفور- والنكبة- والنكسة- وحروب الخليج ... إلخ. إن الغرب لا يفهم إلا لغة القوة، ولا يحترم إلا الأقوياء، لذلك لا يمكننا أن نفرض احترامنا على الآخرين إلا إذا امتلكنا وسائل القوة والتمكين والتأثير، وهو جوهر ما يأمرنا به ديننا، وتحثنا عليه عقيدتنا.

وبغير القوة يكون الحديث عن التسامح والسلام خرافة، إن القوة هي التي تصنع السلام، وهي التي تحميه، والحق والعدالة بلا قوة كلمات ومفاهيم هي والعدم سواء، مجرد أوهام وأحلام.

فيا أهل الثغور.. يا محبي الرسول ﷺ.. الأوفياء لسيرته..

يا ليوث الإسلام..

يا من بعتم أنفسكم لله..

يا من لم ترضوا بالحياة الدنيا من الآخرة..

يا من رفعتم شعار البندقية ولم تسقطوه..

يا من لا يضرهم كيد الكائدين ولا خذلان المخذلين..

إن الله وعدنا ووعده الحق، وعدنا أن لكل عسر يسرين، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون. ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

والحمد لله رب العالمين..

عبد القادر المهدي أبو سنيج

باحث شرعي

الأرض المقدسة محور الصراع ١

الحمد لله سبحانه أحمده على فضله وإحسانه، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه محمد ﷺ وبعد:

فإن من أشهر الشبهات انتشاراً شبهة انتشار الإسلام (بحدّ السيف)، وهي شبهة متكررة وتكرر معها الرد، ولعل صلة هذه الشبهة بموضوعنا التلازم بينها وبين الجهاد عبر التاريخ.

وفي كل الردود نجد الاستدلال بأن كليم الله سيدنا موسى عليه السلام بعدما نجاه الله من الغرق وأهلك عدوه فرعون، أنزلت عليه التوراة وأمره الله بقتال من كفر وعاند، فإن «الأمم والأنبياء من

قبل موسى عليه السلام لم يشرع لهم القتال والجهاد، فإذا كفرت أمة وأشركت بادرها الله بالعقوبة في الدنيا بأمر منه، فحين عصى قوم نوح نوحاً أفاض الله عليهم الماء فأغرقهم، وأهلك عاداً بما أهلكهم به من الصيحة والفزع، وأهلك قوم صالح كذلك، وأهلك قوم لوط بأن جعل عالي الأرض سافلها، وأهلك قوم فرعون بالغرق والضياع، ثم لما جاء موسى شرع القتال والحرب، فلم تبق الفتنة ولا العذاب ولا القضاء شاملاً عاماً لكل الأمة ممن كفر بالله وأشرك به، ولكن الله تعالى شرع للمؤمنين أن يقاتلوا الكافرين؛ ليذلوا ويسحقوا ويؤدبوا على يدهم، ومنذ موسى رفع الخسف والصعق والغرق والبلاء على الأمم عامة، إلا ما كان من القتال والجهاد، يكرم الله به المؤمنين، وهم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأولادهم رخيصة لإعلاء كلمة الله»[1].

بداية تشريع الجهاد

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ الآية، أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إيّاكم بهم إلا بشرى ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: بدون ذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ

---

١ تفسير المنتصر الكتاني (١٥٠/ ٢).

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

فهذه حِكم شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها، وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذِّبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمم المكذبة كما أهلك قوم نوح بالطُّوفان، وعادًا الأولى بالدبور، وثمود بالصيّحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجِّيل، وقوم شعيب بيوم الظُّلة، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليمِّ. ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ﴾ [القصص: ٤٣].

وقتْل المؤمنين للكافرين، أشدُّ إهانة للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]. ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم أنكى لهم، وأشفى لصدور حزب الإيمان، فقتل أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشدُّ إهانةً له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو

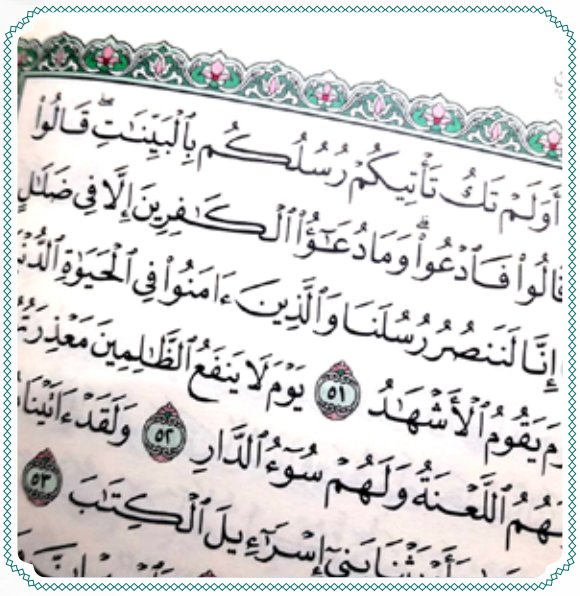

ذلك، كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة[٢] بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، إنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته[٣].

ويؤكد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٣٤]. يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [الحاقة][٤]؛ «فدلّ على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى»[٥].

---

٢ العدسة: بثرة تشبه العدسة، تخرج في الجسد، تقتل صاحبها غالباً.

٣ تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٦).

٤ تفسير ابن كثير، ط: ابن الجوزي (٦/ ٢٣).

٥ قصص الأنبياء من البداية والنهاية، ت: عبد الواحد (١/ ٣٧٥).

وهذا يدل على أن القتال مما لا ينفك عنه الاجتماع البشري، فهو سُنة من السنن التي شاء الله تعالى وجودها في خلقه، لتنازع الناس البقاء، ورغبتهم في توسيع الملك، والسلطة والنفوذ، فجعل مقاومة الظالمين إلى عباده المؤمنين، تكريماً لهم، ورفعاً لشأنهم عنده، وليكون ذلك برهاناً على محبتهم له، واسترخاص أغلى ما عندهم طلباً لمرضاته، يفعلون ذلك لإعلاء كلمته، وإزالة الفتنة عن الناس، حتى يكونوا أحراراً لا سلطان لأحد على عقائدهم، وإنما شرع لهم ذلك منذ رسالة موسى عليه الصلاة والسلام، وقبلها كان ربنا ينتقم من الظالمين بآفات عذابه، وغواشي نقمته، يرسلها عليهم، يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣].

وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، قال: ما أَهْلَك اللهُ قومًا بعذابٍ مِن السماءِ ولا مِن الأرضِ بعدَ ما أُنزِلت التوراةُ على وجهِ الأرضِ غير القريةِ التي مُسِخوا قردةً، ألم تَرَ أن الله يقولُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣][٦].

ومن الآيات الدالة على شرع القتال زمن سيدنا موسى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. «وَإِنَّمَا كَانَ قِوَامُ أَمْرِ بَنِي

---

٦ أخرجه الحاكم ٢/ ٤٤٢، رقم: ٣٥٣٤، من حديث أبي سعيد الخدري، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه من هذا الطريق الثعلبي ٨/ ٨٤١، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٨٠، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٩٨١، موقوفاً على أبي سعيد الخدري ﷺ. وأخرجه من طريق آخر البزار في مسنده برقم (٢٢٤٨) «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٨٨): «رواه البزار موقوفاً ومرفوعاً ورجالهما رجال الصحيح».

إِسْرَائِيلَ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى الْمُلُوكِ وَطَاعَةِ الْمُلُوكِ لِأَنْبِيَائِهِمْ، فَكَانَ الْمَلِكُ هُوَ الَّذِي يَسِيرُ بِالْجُمُوعِ، وَالنَّبِيُّ يُقِيمُ لَهُ أَمْرَهُ وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِرُشْدِهِ وَيَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ مِنْ رَبِّهِ»[٧].

والغالب أن ذكر إيتاء سيدنا موسى الكتاب فيه إشارة إلى شرع الجهاد والمدافعة بالقتال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

وهذه الآية في سورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل تدل على أن: «الدِّينُ الْحَقُّ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ الْهَادِي وَالسَّيْفِ النَّاصِرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [سُورَةُ الْحَدِيدِ: ٢٥]».

«مِنْ أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي وَعَدَ بِظُهُورِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ بِالْبَيَانِ وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ثُمَّ بِالسَّيْفِ وَالْيَدِ وَالسِّنَانِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَذَلِكَ بِمَا يُقِيمُهُ اللَّهُ تبارك وتعالى مِنَ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْخَالِيَ مِنَ

---

٧ تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٤٩٠) تفسير البغوي (١/ ٣٣٢).

الْعَاطِلِ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَالصِّدْقَ مِنَ الْمُحَالِ، وَالْغَيَّ مِنَ الرَّشَادِ، وَالصَّلَاحَ مِنَ الْفَسَادِ، وَالْخَطَأَ مِنَ السَّدَادِ، وَهَذَا كَالْمِحْنَةِ لِلرِّجَالِ الَّتِي تُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]؛ «فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَأَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ لِأَجْلِ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ وَلِهَذَا كَانَ قِوَامُ الدِّينِ بِكِتَابٍ يَهْدِي وَسَيْفٍ يَنْصُرُ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا»[٨].

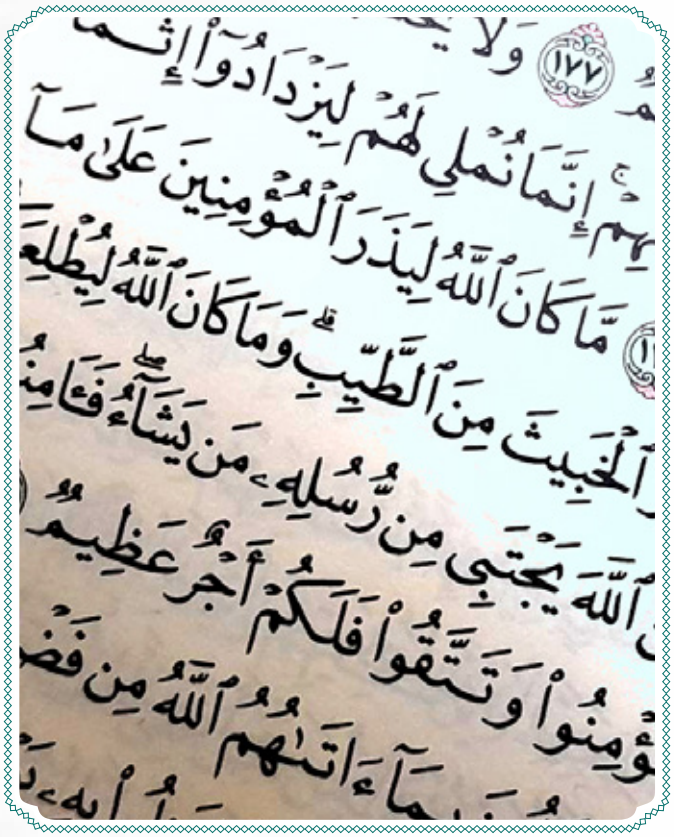

فجاء ذكر نزول الحديد كضرورة من ضرورات الدعوة مع نزول الكتاب والميزان: «ودين الإسلام: السيف تابع للكتاب، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنة، وكان السيف تابعاً لذلك كان أمر الإسلام قائماً.. وأما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير، وكان السيف تارة يوافق الكتاب، وتارة يخالفه، كان دين من هو كذلك بحسب ذلك»[٩].

وللحديث بقية..

٨ منهاج السنة النبوية (١/ ٥٣١)، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٨٧)، مجموع الفتاوي (١٠/ ١٣).

٩ أهداف التربية الإسلامية (ص٣٣٢).

د. أحمد شتيوي

أخصائي طب الأسنان

ثلاثية الأبطال ٢

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، تعال قارئي الكريم نتأمل ما قصد عثمان رضي الله عنه من قوله: «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فنجد أن المعنى المشهور المتبادر أولاً إلى الذهن أن القوة والحزم ينفعان في دنيا البشر حين لا ينفع الوعظ والتذكير بثواب الله وعقابه، وقد كانت الآية الكريمة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥١] مصدقة لهذا المعنى أو ربما استنبط سيدنا عثمان هذا المعنى منها.

والآية بها أكثر من معنى وقد أشرت لشيء من هذه المعاني في المقال الأول من هذه السلسلة، ولكن ما أريد استحضاره هنا هو معنى ربما كان الرابع أو الخامس من معاني الآية، بدر إلى ذهني عندما استمعت إلى كلمات بعض أبطال الأحداث التي مرت بنا من الطوفان إلى سوريا، تلك الكلمات الموجزة من على المنبر الشاهق المنصوب فوق منصة الأحداث، الأحداث التي دفعتني إلى كتابة هذه السلسلة..

إن قول عثمان رضي الله عنه ظاهر المعنى وهو المعنى المتبادر أولاً إلى الذهن، لكن بعد سماعي القادة المنتصرين بدر إلى ذهني أنه ربما يكون الوزع أو الدفع هو حضور هالة الحق متلبسة ببعض البشر، فعلى غير العادة، وبدلاً من أن يكون كل الفاعلين المؤثرين من صنف أهل الباطل، وأن يكونوا مؤلفي المشهد وممثليه ومخرجيه.. إذ برجل قوي متلبس بهالة الحق ينبري ليزاحمهم ويدافعهم، فأخذ يشد الأحداث تجاهه.. فأربك مشهدهم كله، وبدأوا يتساءلون: مَن هذا وكيف صعد!

إنه البطل، هذا الذي أجرى المعادلة بخطواتها فاستخرج الناتج فاستطاع الصعود على المسرح.. إنه النموذج العملي الناجح، نموذج التطبيق، نموذج بطل الواقع الذي تتبع آيات الله وعملها في ظروفنا الصعبة.. فنجح فبدأ يستعيد لنا من سيرتنا الأولى، وطفق يحيي لنا أرواحاً باهرة من هذا الماضي العتيد ويحضرها إلى الواقع لنراها أو لترانا فتتلبس بعضنا فتحولهم أبطالاً.. ليرسموا لنا الصورة المثلى، تلك الصورة التي ثقلت حتى في الأذهان وفرت من الوجدان عندما مُسحت هنا ولطخت هناك.

إن صورة المسلم المنتصر في الدنيا وسط البلاءات والتعقيدات والمعادلات الصعبة، صورة غابت عنا قروناً من الزمان، زمان طويل تلازم فيه البلاء والفناء -الدنيويّان- مع كل محاولة لاستخراج الأمة مما هي فيه حتى استقر في كثير من العقول أن النصر شيء بعيد المنال لا يصلح له في زماننا أحد، وهو محال بعيد إلا على من تُنبئ له به! كحال هؤلاء الذين ينتظرون المهدي ولا يرون أملاً دونه ولا خلاص إلا على يديه، وكأن الدين الذي صنع الأبطال قديماً عجز الآن عن صناعتهم!

لا أريد أن أخرج عن واقعنا مدعياً أن الفرج على بعد خطوات، ولكن دون أن ترى الأمة شيئاً من تلك اللمعات البطولية لن نفهم تلك المعادلة، المعادلة الغائبة التي هي معادلة الإنجاز، معادلة الأثر.. وما أعنيه بتلك اللمعات البطولية لمعات الانتصار والحضور.. لا لمعات الثبات والتضحية! لمعات النصر المغرية للآخرين، اللمعات التي تقول لمن ليس في قلبه القدر الكافي من العلم بقوانين الله وسننه: انتبه أيها المسلم هناك قوانين ناجعة فاعلة في دستورك غائبة عنك!

تلك اللمعات البطولية التي تكسو المنتصر فيدفع الله به شراً ويجلب به خيراً لمجرد حضور هيبته بإنجازه ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧] يرون ويسمعون.. لعلهم يذكرون..

إن هؤلاء الأبطال يُدفع بمجرد وجودهم شر ويُستحضر به خير بمجرد الوجود! فضلاً عما سيفعلونه بأيديهم من خير في زمانهم، فهم روح تسري فتكبر كبراً بحجم كل الأنفس التي تصل إليها فتلهمها!

إن منهجي في هذه السلسلة عند وصفي لصفات هؤلاء الأبطال ليس صفاتهم الإيمانية، كالإخلاص والتعلق بالله وغيرها، فهذه من الشروط المعلومة بالضرورة في كل الساعين إلى خلاص هذه الأمة حسبةً لله، وهو الأصل، أما ما أريده أن نروح من أصل الشجرة إلى ثمارها، الثمار الملونة.. الجميلة الجذابة.. التي تُخضع بجمالها كل عين وتزين الشجرة لتكون علامة وشامة وهداية لحيارى كثر لن يهديهم إلا اكتمال الثمرة! ولذلك قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النَّصر: ١-٢].

وهذه المعاني -قارئي الكريم- بدأتها في المقال السابق في العدد الثالث والثلاثين، وذكرت فيه ثلاثية الأبطال وكانت الثلاثية هي ثلاث صفات ملازمة للأبطال الذين يحملون عظائم أمور هذه الأمة في زماننا، وكانت الثلاثية هي: عقيدة التأثير، والحساسية العالية، وفكر الليل والنهار. وقد استحوذت الأولى «عقيدة التأثير» على المقال الأول وكانت أن الأبطال يرون النصر قادماً على أيديهم ويعتقدون ذلك عقيدةً، متكئين على اليقين بوعد الله (الركن الشديد)، ومؤمنين برزق الله (في ذواتهم)، أي يحولون الطاقة والملكات التي وهبها لهم إنجازات على أرض الواقع، وكانت خلاصة المقال مصداق الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَة: ٢٤].

والآن آتي إلى الصفة الثانية، وهي الحساسية العالية، وأقصد فيها الإحساس العميق المسيطر، الإحساس دائم الغليان سريع الفوران الذي يشبه الجرح الملتهب. ولكن قبل أن نتلمس جوانب تلك الصفة دعني

أتأمل معك في آلام سوريا كمثال، في حياة الناس التي سُحقت، ومقدار السنين والأعمار التي ضاعت كل هذه العقود، والصبر الطويل المقهور المكبوت الذي ذاقوه تحت تلك الطغمة، ثم تأمل معي أنه وفجأة يأتي الفرج فيعود المقهورون لحياتهم ويُلم شملهم ويأخذون فرصة من الزمن لتتوقف جراحهم عن التورم.. ويعرف العالم ما حل بهم..

فيقف الإنسان أمام سؤال كبير: كم هو عمر الإنسان حتى يعيش المرء ربعه أو ثلثه في جحيم مثل هذا كل هذه السنين؟ أو كيف يولد أطفال في قبور مثل هذه وكيف ستكون نفوسهم وأحاسيسهم ورؤيتهم للحياة.. النعمة العليا التي وهِبوها؟

كلما يتعمق إنسان له قلب في هذا التفكير تزداد حسرته.. ثم غضبه.. ثم نقمته على أولئك الشياطين، كارهاً هذا العبث عازماً على نسفه، وهذا المعنى وهذا الإحساس إن لازم ودام فهو أول معاني الحساسية العالية.. الانزعاج الشديد من الظلم، التألم الدائم للمتألمين، والعيش داخل آلامهم، فهو مدفوع من نفسه مجبور على تصور الآلام كأنه فيها، وهذه هي التي تشعل الأبطال ليروموا الفداء، وهي التي تحفظ جذوة إقدامهم ما طالت بهم الحياة أو ما دام الظلم قائماً، فكأنهم كتلة من المشاعر المتقدة كالمشاعل.. وهذا هو الدافع الحقيقي!

على عكس ما يُتصور أن الإنسان شديد العاطفة هو شخص يسير الشأن قليل الوزن! وتأمل معي كلام الله سبحانه: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٤]. وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المَائِدَة: ٣٢]. فإن كانت قيمة حياة الناس عند الله بهذه الدرجة فإن هذه الحساسية العالية للظلم والفجور قرب من الله تعالى!

وتأمل قول الإمام أحمد: «إذا غُلبتُ على الحق، وإذا لم أستطع أن أُنكِر المنكر وأُقِرّ المعروف، رجعت إلى بيتي، فبُلت دمًا». تأمل ما مقدار الألم الذي أهاجته نفسه فيه فعمل في أحشائه أو كبده حتى يصل لهذا الحال! وهذا السلطان عبد الحميد يقول: «إن عمل المبضع في جسدي أهون عليَّ من أن أتنازل عن شبر واحد من أرض فلسطين!» وانظر إلى كلماته التي اختارها لتعبر عما في نفسه! وهذا المعنى أيضاً هو الذي دفع عمر رضي الله عنه إلى قولته الشهيرة: «لو تعثرت دابة في العراق، لخشيت أن يسألني الله عنها: لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر؟» فلولا أن له حساسية عالية ما قال كلمة مثل هذه ولما تخيل شاة ولا طريقاً! ولما اتسع عدله ليصل ما وصل، فلا وصل واصل لما وصل إلا بجذوة من حس متصل! وعزائمَ الأحرارِ لا تغدرُ.

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ .. وتأتي على قدرِ الكِرامِ المكارمُ!

وتَعظُمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها .. وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ!

وما البطل إلا مسعر حرب! مهيج للعبرات والخلجات! جامع للأبطال حوله موثق إياهم بوثاق الغاية، كلما ارتخى فتيل من هذا الوثاق شده بما في صدره من هم وعزم

وَاجمَع رِفاقَكَ وَانْفُخْ في عَزائِمِهِمْ •• مِمَّا بِصَدْرِكَ مِنْ عَزْمٍ وَإِيقَانِ

إن الأبطال ينظرون للأمور بما وراءها، ما الذي تعنيه ولأي مآل ستؤول، لذا فهم أسرع مبادرة وأقل خمولاً، وهذا هو المعنى الثاني في الحساسية: **رؤية مآلات الأمور في أولها.**

وهذه صفة عظيمة، وهذه قد أبصرناها في أبطالنا المعاصرين، في خطاباتهم وفي حذرهم وتدبيرهم وهذه هي التي تحفظ ما يُحفظ! وهي التي تمنع انفراط العقد وتدهور الأحوال، وهي صفة مشروطة بالطبيعة لكل من ملك أمور غيره من البشر أو عمل على تغيير حالهم. وهذه الصفة التي نحمدها في أبطالنا نجدها متحققة في أعدائنا، وتأمل معي في الطواغيت، هل يأمن أحدهم أن يترك من يعارضه معارضة حقة ولو بكلمة؟ أليسوا أسرع الناس إلى تدارك هذه الأمور؟ ألا يستحلون فيها الدماء وما دونها؟ ألا تراهم يتتبعون من يعارضهم ولو كان في أقصى الدنيا ما وجدوا لهذا سبيلاً؟ أتدري لم؟ لأنهم يفهمون هذا المعنى جيداً فيُنزلون الأمر منزلته. ولكنه إنزال المفسد الفاجر الحريص على حظ نفسه لا دينه، وانظر إليهم وتأمل صنيعهم، أليسوا يبذرون بين أتباعهم وهماً وضلالاً يخدرونهم به حتى يلجموهم معهم في غيهم وضلالهم، فيأمرونهم بالظلم والقتل فلا يترددون، أليسوا يرفعون شعارات الوطن وحفظه وينعتون المصلحين بالخيانة والعمالة، ويؤصلون لأنفسهم منهجاً وشيئاً مثل العقيدة حتى يكون لدى اتباعهم شيء من الحصانة ضد الحق مع القدر اللازم لتزيين سوء العمل؟!

إن تدبر المآلات هذا لما تراخى فيه أسلافنا انفرط العقد، ووصلت الأمة لما وصلت إليه، وهذا المعنى جليّ في أعظم قضية يناقشها الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١]، والآية الكريمة: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقد كان جلياً في سيرة النبي ﷺ في سراياه التي كان يبعثها فتتدارك الخطر قبل حدوثه أو تمهد للفتوح، وكذلك مثلاً في نهج عمر رضي الله عنه مع رؤوس فتنة عثمان رضي الله عنه في عصره حين ردّهم إلى مُدنهم وألزمهم إياها، وكمثل القائل: «ثكلتني أمي إن مكنت عدوي من ظهري»؛ فالبطل لن يعطي لخصمه فرصة ليسبقه أو يلتف عليه! وهذه الصفة تجعل البطل حذراً متيقظاً كحارس الحمى لا ينتظر حتى تُنتهك حدودها بل يتلقف عدوه قبل أن يصل إلى حماه، حتى لا يُمس حماه، فهو يرى سور الحمى عورة وتركه ليُمس خوراً!

إن هذه الحساسية هي التي تحفظ كل غالٍ وعزيز، وهي أيضاً التي تبرز للبطل الدروس والعبر وتدارك الخطر، فهو يقظ حذر.. وهي ما يرشد بوصلته فتراه مبادراً، يعرف متى يتحرك فيحذر سوء المآل على من ورآه قبل أن يحذره على نفسه!

ولن تكون البطولة التي نعنيها بغير هاتين الصفتين: الحس العالي المتصل واليقظة؛ فإن الحساسية العالية أصل لا غنى عنه، فكما لا يوجد عملٌ بلا دافع فلا توجد صنائع عظيمة بلا عزائم عظيمة، وهل تأتي العزيمة إلا من الحس بعظم الخطر أو بعلو الجائزة؟! إنها الروح العظيمة الوثابة التي تهب صاحبها طاقة

الشيخ أحمد ياسين وعبدالعزيز الرنتيسي

عالية متصلة فلا يلين حتى يصل إلى مراده.. وعزائمَ الأحرارِ لا تغدرُ! إنها الروح العالية التي إن رأت عزيمة طارت إليها فاتخذتها عُشاً، تطرب في المكوث فيه، وتستوحش كلما بعُدت عنه، هذه الروح التي تشرق بالمعالي فنرى منها خيراً عظيما لأمتها، وكم من خير مأمول مرجو منتظر!

فأطلق لروحك إشراقها .. ترى الفجر يرمقنا من بعيد

وهو قول صاحب الحس العالي الذي سكن عش العزيمة حتى قضى شهيداً:

أخي إنني اليومَ صلبُ المراس .. أدكُّ صخورَ الجبالِ الرواسي
غداً سأشيحُ بفأسِ الخلاص .. رؤوسَ الأفاعي إلى أن تبيد
أخي فامضِ لا تلتفتْ للوراء .. طريقُك قد خضبتهُ الدماء
ولا تلتفتْ هاهنا أو هناك .. ولا تتطلع لغيرِ السماء
فلسنا بطيرٍ مهيضِ الجناح .. ولن نُستذلّ ولن نُستباح
وإني لأسمعُ صوتَ الدماء .. قوياً ينادي الكفاحَ الكفاح
سأثأرُ لكن لربٍّ ودين .. وأمضي على سُنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام .. وإما إلى الله في الخالدين

وصدق الله سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وختاماً.. فإننا معشر المسلمين في هذا الزمان العجيب وبحكم تقنياته مجموعون في جعبة واحدة، إذا عطس مسلم في المشرق سمعه مَن في المغرب، لذا فثبات طفل في غزة إحياء لعزائم أبطال في الأمة، وجلَد مجاهد في نفق حَفْرٌ لأنفاق تحت عروش الظلم لدكها، فيا لأجر مَن رفعهم الله على منصة الأحداث فوعوا مكانهم الذي شرّفهم الله به. وحسوا خطره فجلدوا فأحيا الله بآلامهم أمة مصروعة!

عماد المبيض

المشرف العام على مؤسسة اتحاد الدعاة في بريطانيا

فضل الرباط في غزة

عسقلان وغزة إسلامية وردت في أسانيد عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ هَذَا الأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يَكُونُ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَتَكادَمُونَ عَلَيْهِ تَكادُمَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جِهادِكُمُ الرِّبَاطُ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رِباطِكُمْ عَسْقَلانُ»[1].

١ سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني.

وغزة كانت على مر العصور تابعة لعسقلان الملاصقة لها، حتى إنه كان يطلق عليها اسم «غزة عسقلان»، فالمتأمل في حديث رسول الله ﷺ يعلم قدر هذه الأرض وأجرها ومكانتها في الإسلام، فكم من صالح فهم المقصد فلزم ساحل عسقلان مرابطاً، كأبي ريحانة الأزدي رضي الله عنه، وكم من عالم ارتحل إلى عسقلان لينال شرف الرباط فيها، كالإمام سفيان الثوري الذي رابط على ساحل عسقلان أربعين يوماً، وكالإمام عطاء بن رباح الذي جعل له في كل عام أربعين يوماً يرابط فيها على ثرى عسقلان، ومنهم من مات فيها مرابطاً، كعمر بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

فبرغم الآلام والمواجع التي أقضّت المضاجع وأحرقت الأفئدة، إلا إن حقيقة إدراك أهل غزة لعظيم أجر الرباط عامةً وعظيم أجر الرباط في هذا الساحل خاصةً، يوقر في قلوبهم أنهم على ثغر من ثغور الإسلام، يتذكرون عظيم أجره في ظل عظم البلاء، فغزة آسرة للأفئدة بأجر رباطها وذكرها في عقيدة الأمة.

فهذا الإمام الشافعي المولود في غزة وبالتحديد في حي الزيتون فيها والذي قدم مئات الشهداء في الحرب الأخيرة يخرج طالباً للعلم ولا ينسى غزة وحبها، وقد قال رحمه الله أبياتاً تبين مدى تعلقه بها:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة .. وإن خانني بعد التفرق كتماني

سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها .. كحلت به من شدة الشوق أجفاني

وقد نجح أهل غزة بتمسكهم بالرباط في هذه الأرض قهراً لعدوهم في تفنيد الأكاذيب الصهيونية بمقولتهم: «الكبار يموتون والصغار ينسون»، ففي مسيرات العودة التي خرج بها أهل قطاع غزة بالآلاف أثبتوا أن الكبار لم يموتوا والصغار لن ينسوا، وأن المراهنة الصهيونية على الذاكرة الفلسطينية غير مجدية، كذا المراهنة الصهيونية على الذاكرة الصهيونية نفسها بأن هذه أرض صهيونية قد تحطمت بالوقائع الدينية والتاريخية التي عززها بقاء الفلسطيني في أرضه.

فالرباط يعرّف بأنه «الإقامة بثغر من ثغور المسلمين تقوية لهم»، ويُسن الرباط في الثغور خوفاً من اقتحام العدو بلد المسلمين، وأجره عظيم، وإذا تعين على أناس وجب عليهم، أي إذا لم يوجد غيرهم فيجب عليهم ذلك، وعلى ولي الأمر أن يجعل على الثغور جنوداً أقوياء ليحفظوا الحدود، وليس هذا فحسب فالرباط يشمل المجاهد وغيره إذا ما اقترنت النية، فالرباط وتطبيق سنة رسول الله ﷺ هما الباعث على مكابدة الحصار والبقاء في غزة.

فيا أهل غزة صموداً وفداء، يا أهل غزة صموداً وفداء، وهنيئاً لكم عظيم أجر الرباط بإذن الله.

سفراء الهيئة العالمية لأنصار النبي

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾

لا يكون التمكين إلا باتخاذ أسبابه
الشيخ جلال الدين حمصي ١٠٩

القرآن أكبر دليل على نبوة محمد ﷺ
أ. د جمال بن عمار الأحمر الأنصاري ١١٦

منهج حركي لدراسة السيرة (٣)
أ.د خير الدين خوجة ١٢٢

العلم والرّحمة في حياة الحويني
الشيخ حسن شبّاني ١٢٩

الشيخ جلال الدين الحمصي
سفير الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ في لبنان

لا يكون التمكين إلا باتخاذ أسبابه

الحمدُ لله العزيزِ الوهَّاب، القويِّ الغلَّاب، ناصرِ أهلِ الإيمانِ وهازمِ الأحزاب، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، أُنزل عليه الكتابُ بالحقِّ والميزان، والحجةِ والبيان، والسيفِ والسِّنان، اللهُمَّ صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِم.

إخوتي في الله..

الصبر هو سكون النفس عند المكروه ورضاها بما قسم الله عز وجل، وثباتها على الطاعة وكفها عن المعصية، هو شعور داخلي عميق بالاطمئنان واليقين يتغلغل في القلب فيجعل الإنسان يتقبل ما لا يُحتمل برضى وهدوء.

أما المصابرة فهي مواجهة فيها قوة وثبات، فيها تحدٍ ومغالبة للنفس والغير، هي وقوف في وجه الشدائد بثبات لا يتزعزع، ومنافسة في ميدان الصبر لا يكتفي صاحبها بأن يصبر بل يسابق غيره في الصبر ويتحمل أكثر ويثبت أطول. فالصبر سكون والمصابرة نزال، الصبر قرار والمصابرة صراع. كلاهما جمال في النفس، ولكن المصابرة أعمق أثراً وأشد قوة..كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [آل عمران: ٢٠٠].

إخوة الإسلام..

لا شك أنها أيامٌ حاسمة في دوراتِ الزمن، وصفَحَاتٌ مشرقةٌ في جَبينِ التاريخ.. لكن علينا أن لا نغفلَ عن قضايانا الحاضرةِ وأن لا نغرقَ في دنيانا.. وإخوانٌ لنا يصارعونَ الموتَ والجوع وتصهَرُهم آلةُ الحربِ وهم صامدون ونحسَبُهم عند الله صادقين، فإننا إن نَسينا أو جهِلنا حالَ غزةَ الآن فكأننا قد بِعنا الآخرةَ لأجلِ الدنيا التي ركنّا إليها والعياذُ بالله.

واعلموا أنها فرصٌ يسوقُها اللهُ عز وجل للبشرِ لاغتنامها وقد لا تتكرر، وهي أسواقٌ تُعقَد ثم تُفَضُّ يفوزُ فيها من يفوز، ويخسرُ فيها من يخسر، والمسلم سباقٌ للخير.. ثم اعلموا أن هنالكَ أسباباً يحبُّها الله لعباده الصادقين ويُنزِلُها أثناء الشدة وإبّانَ الأزمات.

لقد غدا العملُ لنصرةِ الإسلامِ اليومَ فرضَ عينٍ على كل فردٍ من أفرادِ الأمة رجلًا كان أو امرأة، شابًّا كان أو شيخًا، روى ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناده عن الحسن البصري وعكرمة وغيرهما رحمهم الله تعالى في تفسير قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. قالوا: شيوخاً وشباباً. وقال مجاهدُ رحمه الله: هي في الثقيلِ وذي الحاجة والضعيفِ والمشتغل. وعن الحَكَم قال: مشاغيلَ وغيرَ مشاغيل[1].

إخوةَ الإسلام..

الأملُ لا بدّ أن يكونَ معهُ عمل، ولا يحدث النصرُ إلا بالصبرِ، ولا يكونُ التمكينُ إلا باتخاذِ أسبابِه، وأولُها وأهمّها:

١ الإيمانُ بالله تعالى:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «واللهُ سبحانه إنما ضَمِنَ نصرَ دينِه وحزبِه وأوليائِه بدينِه علماً وعملاً، لم يَضمَن نصرَ الباطلِ، ولو اعتقدَ صاحبُه أنه محق، وكذلك العزةُ والعلوُ إنما هما لأهل الإيمانِ الذي بعثَ اللهُ به رُسلَه، وأنزلَ به كُتبَه، وهو علمٌ وعملٌ وحال، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

---

١ مصنف الإمام ابن أبي شيبة.

فللعبد من العلوِ بحسْبِ ما معه من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. فله من العزةِ بحسْبِ ما معه من الإيمان وحقائقِه، فإذا فاته حظٌّ من العلوّ والعزة... ففي مقابلةِ ما فاته من حقائقِ الإيمان، عِلماً وعملاً ظاهراً وباطناً. وكذلك الدفعُ عن العبد يكونُ بحسْبِ إيمانِه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]. فإذا ضَعُفَ الدفعُ عنه فهو من نقصِ إيمانِه.

وكذلك الكفايةُ والحَسْب بقدْر الإيمان، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]. أي اللهُ حسبك وحسبُ أتباعِك، أي كافيكَ وكافيهم، فكفايتُه لهم بحسبِ اتباعِهم لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وانقيادِهم له، وطاعتِهم له، فما نَقُصَ من الإيمان عاد بنُقصانِ ذلك كله.

ومذهبُ أهلِ السنةِ والجماعة: أن الإيمانَ يزيدُ وينقص. وكذلك ولايةُ اللهِ تعالى لعبدِه تكون بحسب إيمانه قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وكذلك معيَّتُه الخاصةُ هي لأهلِ الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]. فإذا نَقُصَ الإيمانُ وضُعف كان حظُ العبدِ من ولايةِ اللهِ له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان. وكذلك النصر والتأييد الكامل. إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدّنيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. وقال جل في علاه: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. فمن نقُصَ إيمانه نقُصَ نصيبُه من النصرِ والتأييد، ولهذا إذا أصيبَ العبدُ بمصيبةٍ في نفسِه أو مالِه، أو بإدالةِ عدوِه عليه، فإنما هي بذنوبِه، إما بتركِ واجبٍ، أو فعلِ محرم، وهو من نَقصِ إيمانه»[٢].

٢ وثاني أسبابِ التمكين: حُسنُ التوكلِ على الله سبحانه وتعالى

قال جل في علاه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: «أَيْ مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ. وَقِيلَ: أَيْ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَجَانَبَ الْمَعَاصِيَ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، فَلَهُ فِيمَا يُعْطِيهِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ ثَوَابِهِ كِفَايَةٌ. وَلَمْ يُرِدِ الدنْيَا، لِأَنَ الْمُتَوَكِّلَ قَدْ يُصَابُ فِي الدّنْيَا وَقَدْ يُقْتَلُ...

وَقَالَ الربيعُ بْنُ خَيْثَمٍ: إن الله تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَازَاهُ، وَمَنْ وَثِقَ بِهِ نَجَّاهُ، وَمَنْ دَعَاهُ أَجَابَ لَهُ. وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾..

---

٢ ابن القيم، إغاثة اللهفان.

وبهذا جاء حديث رسول الله ﷺ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[٣].

علمها رسول الله ﷺ لابن عباسٍ وهو غلام.. فعلموا أبناءكم حقيقةَ التوحيد.. علموهم حسنَ التوكلِ على الله وأن لا يسألوا إلا الله عز وجل..

٣ ومن أسبابِ التمكين: التضرُّعُ إلى الله والإلحاحُ في الدعاء والاستغاثة به سبحانه.

٤ ومنها: الاجتماع وعدمِ التفرُّقِ والتنازع:

قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

«أهل الحقِّ منصُورونَ وغَالِبُون، ينصرُهم اللَّهُ ولو بعدَ حِينٍ، سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَتَبَدَّل، وَلَكِن قبل النصر لا بُدَّ مِن الصَّبر، صَبْرٌ على الأَذَى، وَصَبْرٌ على الشِّدَّةِ والابتِلَاءِ «فإِنَّمَا النَّصْرُ صَبْرُ سَاعَةٍ»، وَهَذَا دَيدَنُ الأَنبِياءِ عَلَيهِم السَّلَامِ وأَتبَاعِهِم».

---

٣ رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام الترمذي في جامعه.

ومن أعظمِ ما يصبِرُ عليه المسلمُ الصبرُ على البلاء.. ومن كمال الصبرِ اللجوءُ للهِ سبحانه وتعالى والرضى بقضائه.. وهذا ما نراه حقيقةً في غزةَ العزة..

لقَد وُجد دومًا إيمانٌ وكفر، وحقٌّ وباطل، وظلمٌ وعدل، وخيرٌ وشرّ، ولكلّ طرفٍ أنصارٌ يقومون به، فأهلُ الحقّ يقومون به وبه يعدِلُون، وأهلُ الباطل يقومُون له وبه يَجورُون، وقد قضى سبحانه أن تكونَ العاقبةُ للمتقين، وأن يكون الهلاكُ للكافرينَ المكذّبينَ الضَّالين، قال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. [آل عمران: ١٣٧].

إنّ سُنَّةَ الله تعالى في إهلاكِ الكفّارِ المجرمينَ لا تتغيَّر، إلا أن هذه السُّنَّة تَسبِقُها سننٌ، يُجريها اللهُ تعالى بين يدَيها، توطئةً وتمهيدًا لها وإتمامًا لحكمتهِ منها، كسُنَّةِ إمهالِ الكافِرين، وسُنَّةِ ابتلاءِ المؤمنينَ وتمحيصِهم، وسُنَّةِ المداولة بين الناس، وسُنَّةِ التدافع، ثم سُنَّةِ النصر والتمكين. هذا يقيننا بالله عزوجل أن العاقبة للمتقين والنصرَ للمؤمنين بإذن الله تعالى.. هذا وعد الله والله لا يخلف وعده..

إخوة الإسلام..

قد تكونُ دَوْلةُ أهلِ الباطلِ غالبةً يومًا، إلّا أن أهلَ الحقّ لا يستسلِمون، بل يَدفعُون ذلك القدَر بالقدَرِ الأحبِّ إلى اللهِ تبارك وتعالى، وهو الجِهادُ في سبيله بكلِّ ممكِن، كلٌّ في موضعه، بالمال و بالسِّنان أو باللِّسان، والله يُؤيِّدُهم ويُسدِّدُهم..

لا تجزعي من منظر السُّحْبِ التي .. تُخفي كواكبَنا عن الأنظارِ
ستَرَين تلك السُّحْبَ تنفُضُ ثوبَها .. يومًا بما نرجو من الأمطارِ
يا غزةَ الجرح المعطَّر بالتُّقى .. لا تيْأَسي من صَحْوةِ المليارِ
لا تيْأَسي من أُمَّةٍ في رُوحِها .. ما زالَ يَجْري منهجُ المُختار

أ. د جمال بن عمار الأحمر الأنصاري
سفير الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ بالجزائر

القرآن معجزة زمانية-مكانية

وهي أكبر دليل على نبوة محمد ﷺ

القرآن معجزة عابرة للمكان بل عابرة للأزمان، إنها كبرى معجزات النبي الأمي ﷺ، أعجزت أهلها العرب لغة وبلاغة، وأعجزت الثقلين عقيدة وشريعة وأخلاقاً، بل أعجزتهم في الحديث عن عوالم الشهادة والغيب بتفاصيل لا زالت تتحدى العلماء وكل كشوفهم العلمية. وبرهنت أن خالق الكون بما فيه من نفوس وحياة وجماد هو منزل القرآن، فالأول كتاب الله المفتوح والثاني كتاب الله المتلوّ.

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

- قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

- قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال الشيخ د. عبد الله دراز رحمه الله: «إن التاريخ سجّل على أهل اللغة أنفسهم في عصر نزول القرآن، وما أدراك ما عصر نزول القرآن؟ هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي، وهل بلغت المجامع اللغويّة في أمّة من الأمم ما بلغته العربيّة في ذلك العصر من العناية بلغتها، حتّى أدركت هذه اللغة أشدّها، وتمّ لها بقدر الطاقة البشريّة تهذيب كلماتها وأساليبها؟! ما هذه المجموع المحتشدة في الصحراء؟! وما هذه المنابر المرفوعة هنا وهناك؟! إنها أسواق العرب تعرض فيها أنفس بضائعهم، وأجود صناعتهم، وما هي إلا بضاعة الكلام، وصناعة الشعر والخطابة، يتبارون في عرضها، واختيار أحسنها، والمفاخرة بها، ويتنافسون فيها أشدّ التنافس، يستوي في ذلك رجالهم ونساؤهم، وما أمْرُ حسّان والخنساء وغيرهما بخاف على متأدّب!

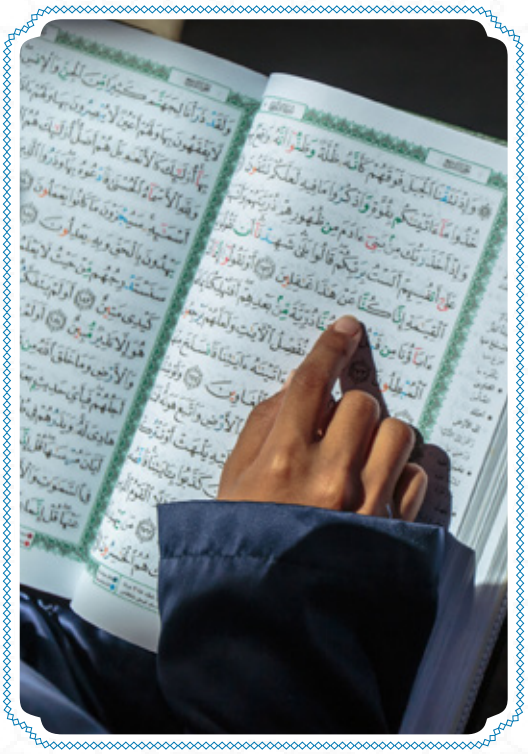

فما هو إلا أن جاء القرآن.. وإذا الأسواق قد انفضّت، إلا منه، وإذا الأندية قد صفرت، إلا عنه، فما قدر أحد منهم أن يباريه أو يجاريه، أو يقترح فيه إبدال كلمة بكلمة، أو حذف كلمة أو زيادة كلمة، أو تقديم واحدة وتأخير أخرى! ذلك على أنه لم يسدّ عليهم باب المعارضة، بل فتحه على مصراعيه، بل دعاهم إليه أفراداً أو جماعات، بل تحدّاهم وكرّر عليهم ذلك التحدّي في صور شتّى، متهكّماً بهم، متنزّلاً معهم إلى الأخفّ فالأخفّ: فدعاهم أول مرة أن يجيئوا بمثله! ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله! ثم بسورة واحدة من مثله!»[1].

وقد كتبَ الأديب اللغوي الكبير الجاحظُ مقالةً رائعة في هذا الموضوع يحسن بنا أن نورِدَها هنا؛ فإنها مقالة جديرة بالاهتِمام، قال الجاحظ:

«بَعث اللهُ محمدًا ﷺ أكثر ما كانت العربُ شاعرًا وخطيبًا، وأحكَمَ ما كانت لغةً، وأشدَّ ما كانت عدَّةً، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله، وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجَّة، فلمَّا قطع العذر، وأزال الشُّبهة، وصار الذي يمنعهم مِن الإقرار الهوى والحميَّة دون الجهل والحيرة، حمَلَهم على حظِّهم بالسيف، فنَصَبَ لهم الحرب، ونصبوا له، وقتل مِن عِلْيَتِهم وأعلامهم، وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتجُّ عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحًا ومساءً إلى أن يُعارِضوه إنْ كان كاذبًا بسورة واحدة، أو بآيات يَسِيرة، فكلَّما ازداد تحدِّيًا لهم بها، وتقريعًا لعجزهم عنها، تكشَّف عن نقْصهم ما كان مستورًا،

---

١ النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، لعبد الله دراز (٨٣ وما بعدها) بتصرف.

وظهر منه ما كان خفيًّا، فحين لم يجدوا حِيلةً ولا حُجَّة قالوا: أنتَ تعرِف مِن أخبار الأُمَم ما لا نعرِف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوها مفتَرَيات، فلم يَرُمْ ذلك خطيبٌ، ولا طمع فيه شاعر...

فدلَّ ذلك العاقلَ على عجز القوم مع كثرة كلامِهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شُعرائهم، وكثرة مَن هجاه منهم، وعارَض شُعراء أصحابه وخطباء أمَّته؛ لأن سورة واحدة وآيات يَسيرة كانت أنقضَ لقوله، وأفسَد لأمْره، وأبلَغ في تكذيبه، وأسرَع في تفريق أتباعه مِن بذْل النفوس، والخروج مِن الأوطان، وإنفاق الأموال.

وهذا مِن جليل التدبير الذي لا يخفَى على مَن هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات. ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخُطَب الطِّوال البليغة، والقِصار المُوجَزة، ولهم الأسْجاع والمزدوج، واللَّفظ المنثور، ثم يتحدَّى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم. فمُحال -أكرمك الله- أن يجتَمع هؤلاء كلُّهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البيِّن... وهم أشدُّ الخلْق أنَفَة، وأكثرهم مُفاخَرة، والكلام سيِّد عملهم، وقد احتاجُوا إليه، والحاجة تَبعَثُ على الحِيلَة في الأمر الغامِض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟! فكذلك مُحال أن يتركوه وهم يعرفونه، ويجدون السبيل إليه، وهم يبذلون أكثر منه»[٢].

وهذا دليل على إعجاز القرآن من خلال قصة إسلام الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسِيّ: قَدِم الطُّفَيْلُ مكَّة، ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجلٌ من قريش، وكان الطُّفَيْلُ شَريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طُفَيل، إنك

٢ الإتقان للسيوطي (٢/ ١١٢). وانظر: لمحات في علوم القرآن واتِّجاهات التفسير لمحمد بن لطفي الصباغ (٧٨-٨٥).

قَدِمتَ بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا [أي: اشتدَّ أمره بنا]، وقد فرَّق جماعَتَنا وشتَّت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرِّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمَنَّه ولا تسمعَنَّ منه شيئًا.

قال الطُّفَيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألاَّ أسمعَ منه شيئًا، ولا أكلِّمَه، وحشَوْتُ في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا [أي: قُطنا] فَرَقًا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه! فغدَوتُ إلى المسجد فإذا رسولُ الله ﷺ قائم يصلِّي عند الكعبة، فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يُسمِعَني بعضَ قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكلَ أمِّي! والله إني لَرجلٌ لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحسَنُ من القَبيح، فما يمنعني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول؟! فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته. فمكثت حتى انصَرَف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا... فوالله ما برحوا يخوِّفونني أمرَك حتى سددتُ أذني، بكُرْسُفٍ لئلاَّ أسمع قولك، ثم أَبَى الله إلا أن يُسمِعَني قولك، فسمعت قولاً حسنًا، فاعرِضْ عليَّ أمرك!

فعرض عليَّ رسولُ الله ﷺ وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قطُّ أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمتُ وشهدت شهادةَ الحق![٣]

ودليل عكسي من قصة تولِّي الوليد[٤]: موضع الشاهد فيها أنَّ قريشًا أوفدَتْ أبا جهلٍ إليه ليطلب منه أن يقول في القرآن قولًا يَعلم منه الناسُ جميعًا أنه كاره له، فأجابه الجوابَ الآتي الذي يدلُّ على تأثُّره بجمال القرآن:

---

٣ سيرة ابن هشام، تحقيق السقا وزميليه (٢/٢-٣٢)، والرَّوض الأُنُف (١٣٠/٢)، والبداية والنهاية (٩٨/٣).

٤ أخرج هذه القصة الحاكم (٥٠٧/٢)، عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقَه الذهبي، وانظر: سيرة ابن هشام (٢٨٨/١)، وتفسير القرطبي (٧٤/١٩)، والإتقان (١١٧/٢)، والبداية والنهاية (٦١/٣).

«ماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلَم منِّي بالشِّعر ولا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنِّ، والله ما يُشبِه الذي يَقولُه شيئًا مِن هذا، والله إنَّ لقوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّه ليَحطِم ما تحتَه، وإنه لَيعلو وما يُعلَى عليه!».

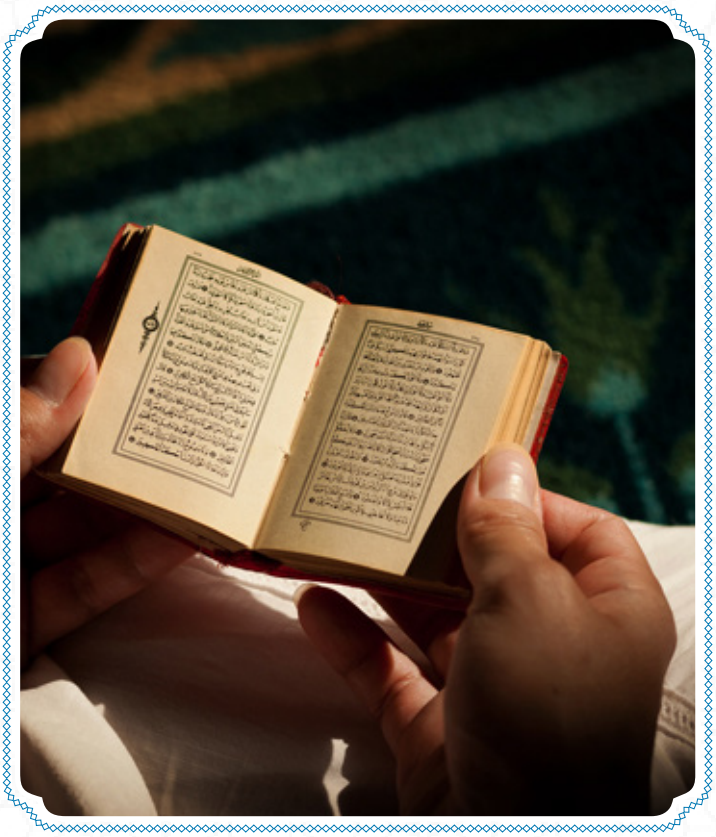

قال أبو جهل: «والله لا يَرضَى قومُك حتى تقولَ فيه!».

قال: «فدَعْني أفكِّر فيه!»، فلمَّا فكَّر قال: «إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤثَر، أما رأيتموه يُفرِّق بين الرجل وأهله ومَواليه!».

وفي ذلك يقول القرآن: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ١٨-٢٤].

إنها معجزة خالية من فخر الشاعر، وإبهار الساحر، وتعالم المكابر، وسفسطات الفيلسوف، بل خالية من ثأر المُطالب، وتجبر المحارب، وأنانية المكاسب، وطغيان الملوك!

إنها معجزة تمجد الخضوع والخشوع لله وحده، وتسلط دوائر النور على الضعيف، والمريض، والمسكين، والفقير، والشيخ، واليتيم، والغريب؛ ليعلموا أن لهم الله!

أ.د. خير الدين خوجة

سفير الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ في البلقان

نحو منهج حركي في دراسة السيرة النبوية ٢

العصر الجاهلي

الوضع الديني في القرن السادس المسيحي

لا يخفى على طالب العلم وأولي الألباب أن الديانات السابقة وصحفها العتيقة وشرائعها القديمة وقعت فريسة للعابثين والمتلاعبين والمحرفين.

«ولو تقصينا تاريخ البشر على ضوء الإيمان بالله تعالى والاستعداد للقائه، لوجدنا العالم أشبه بمخمور تزيد فترات سكره على فترات صحوه، أو بمحموم غاب عنه في سَورة الألم

رشده، فهو يهذي ولا يدري... وكم سلخت الدنيا من عمرها قبل أن يظهر محمد ﷺ... فماذا كان مصير الحضارات في مصر واليونان وفي الهند والصين، وفي فارس وروما... من ناحية العاطفة والعقل. إن الوثنية الوضعية اغتالتها.. وأمسى -الإنسان- عبداً مسخراً لأدنى الأشياء... وماذا بعد أن تقدس العجول والأبقار، وتعبد الأخشاب والأحجار، وتطبق شعوب بأسرها على هذه الخرافة.

إن الوثنية هوان يأتي من داخل النفس لا من خارج الحياة، فكما يفرض المحزون كآبته على ما حوله، وكما يتخيل المرعوب الأجسام القائمة أشباحاً جاثمة، كذلك يفرض المرء الممسوخ صَغار نفسه وغباء عقله على البيئة التي يحيى فيها فيؤلّه من جمادها وحيوانها ما يشاء...

فلما جاء القرن السادس لميلاد عيسى عليه السلام، كانت منارات الهدى قد انطفأت في مشارق الأرض ومغاربها... فالمجوسية في فارس طليعة عنيدة للشرك الفاشي في الهند والصين وبلاد العرب وسائر المجاهل...

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام في صنم[1]

---

١ مختصر من: فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، ط: دار القلم/دمشق، ط١، ص١٧ وما بعدها.

أولاً: اليهودية

أصبحت اليهودية عبارة عن مجموعة من الطقوس وتقاليد لا روح لها، لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمة دعوة، تسربت إلى اليهودية كثير من عقائد الأمم التي جاوروها أو وقعوا تحت سيطرتها. يشهد بذلك القاصي والداني، وتشهد بذلك مؤلفاتهم.. «وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة، إن التلمود أيضاً يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود».

وحتى تلمود وهو كتاب مقدس لدى اليهود وكان متداولاً في القرن السادس المسيحي، قد كان زاخراً بالنماذج الغريبة من خفة العقل وسخف القول، والاجتراء على الله، والعبث بالحقائق، والتلاعب بالدين والعقل.. مما يدل على الانحطاط العقلي وفساد الذوق الديني.

ثانياً: المسيحية

وأما الديانة المسيحية فقد أصيبت هي الأخرى بمصيبة تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، ووثنية الرومان المتنصرين منذ عصرها الأول. وأما كيفية تغلغل عقيدة التثليث إلى المجتمع المسيحي منذ القرن الرابع الميلادي، فإنها جاءت من فكرة وعقيدة.. «بأن الإله الواحد مركب من ثلاثة أقانيم في أحشاء حياة العالم المسيحي وفكره منذ الربع الأخير من القرن الرابع، ودامت كعقيدة رسمية مسلمة عليها الاعتماد في جميع أنحاء العالم المسيحي»[٢].

٢ من مقال: العالم قبل بعثة الرسول ﷺ: قصص وحقائق مدهشة. موقع إلكتروني: بيت العبادة، ٢٠٢٥م.

إن الوثنية تغلغلت إلى الديانة المسيحية باسم المسيحية وفي ستارها، حتى أخذوا شهيداً من شهدائهم ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تمثالاً، وبهذه الطريقة انتقل الشرك وعبادة الأوثان.. ولم ينتهِ هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الأولياء والشهداء. ثم تكونت عقيدة جديدة وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وأن هؤلاء الأولياء والقديسين صاروا وسيطاً بين الله والإنسان يحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين.

وجاء القرن السادس المسيحي والحرب قائمة بين نصارى الشام والعراق ومصر حول حقيقة المسيح وطبيعته.. يكفّر بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً.

ثالثاً: المجوس

أما المجوس فإنهم عُرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية، أعظمها النار. فقد عكفوا على عبادتها وبنوا لها هياكل ومعابد، ومع تعظيمهم وعبادتهم للنار فإنهم قدسوا الشمس، وأصبحت الديانة عندهم عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنتهم الخاصة. وكان واجباً عليهم أن يعبدوا الشمس أربع مرات في اليوم، ويضاف إلى ذلك عبادة القمر والنار والماء.

وكان أهل إيران يستقبلون في صلاتهم النار، وقد حلف الملك يزدجرد -آخر الملوك الساسانيين- بالشمس مرة وقال: «أحلف بالشمس التي هي الإله الأكبر». ثم إنهم دانوا بالثنوية في كل عصر وأصبح ذلك شعاراً لهم، وآمنوا بإلهين اثنين، أحدهما: النور أو إله الخير، ويسمونه (آهور مزدا)، (يزدان)، والثاني، الظلام أو إله الشر.

رابعاً: البوذية والبرهمية

كانت البوذية الديانة المنتشرة في آسيا الوسطى والهند، تحمل معها الأصنام حيث سارت، وتبني الهياكل والمعابد وتنصب تماثيل (بوذا)، ولم يزل العلماء يشكون في إيمان هذه الديانة بالإله الخالق للسموات والأرض والإنسان ولا يجدون ما يثبت ذلك.

أما البرهمية -ديانة الهند الأصلية- فقد امتازت بكثرة المعبودات والآلهة والإلهات، حيث بلغ عدد الآلهة في القرن السادس ٣٣٠ مليون، وعندهم كل شيء جميل وكل شيء نافع فهو إله يُعبد. وفي هذا العهد ازدهرت صناعة نحت التماثيل..

ولا شك أن الوثنية كانت منتشرة في العالم المعاصر كله، من البحر الأطلسي إلى المحيط الهادي، وكأنما كانت المسيحية والديانات السامية والديانة البوذية تتسابق في تقديس الأوثان.

خامساً: العرب

أما العرب الذين آمنوا بدين إبراهيم وقام في أرضهم بيت الله الحرام، ولبُعد عهدهم من النبوة والأنبياء والانحصار في شبه جزيرتهم، ابتلوا في العصر الأخير بوثنية تشبه الوثنية البرهمية الهندية. حيث كانوا مشركين بالله واتخذوا مع الله آلهة أخرى اعتقدوا أن لهم مشاركة في تدبير الكون والنفع والضر

والإيجاد والإفناء، حتى أصبح لكل قبيلة ولكل بيت ولكل ناحية ولكل مدينة صنم. وكان في جوف الكعبة الذي بناه إبراهيم عليه السلام ٣٦٠ صنماً، فكانوا يعبدون الحجر وكانت لهم آلهة من الملائكة والجن والكواكب، وكانوا يعتقدون بأن الملائكة هم بنات الله وأن الجن شركاء لله تعالى.

العرب حين البعثة

فساءت أخلاقهم فأولعوا بشرب الخمر ولعب القمار وبلغت بهم القساوة المزعومة إلى وأد البنات، وكانوا يغيرون ويقطعون الطرق على القوافل، وسقطت منزلة المرأة، فكانوا يورثونها كما تورث المتاع أو الدابة. أما المأكولات فكان منها ما هو خاص بالذكور ومحرم على الأزواج، وكان سائغاً للرجل أن يتزوج من يشاء من النساء دون تحديد، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الفقر وخشية الإنفاق.

العصبية القبلية كانت شديدة ودموية وأشربوا في قلوبهم حب الحرب، وكانت تدوم هذه الحروب أربعين سنة ويُقتل فيها ألوف من الناس.

كان أهل مكة ضعاف التفكير أقوياء الشهوات، ولا صلة بين نضج الفكر ونضج الغريزة، وإن الإنسان ليرى في القرية التافهة وفي القبيلة الساذجة من التنافس على المال والظهور ما يراه في أرقى البيئات.. وقد تجد الشخص لا يحسن فهم مسألة ومع ذلك فإنك تجده يفهم أن لا يكون فلان أفضل منه، ومنذ عهد نوح

والحياة تجمع أمثلة شتى لهذا الغباء وهذا العناد. تجد عند أهل مكة كفراً بالله تعالى واليوم الآخر وإقبالاً على نعيم الدنيا.. رغبة عميقة في السيادة والعلو ونفاذ الكلمة.. عصبيات طائشة تحارب وتسالم من أجل ذلك..

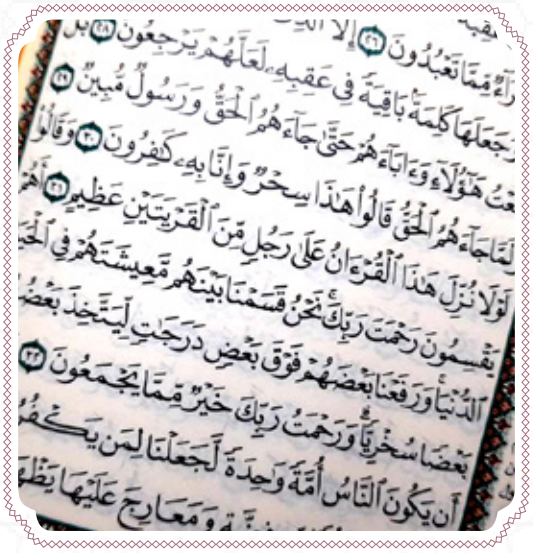

ووُجد في هذه القرية من يسابق فرعون في عتوه وطغيانه.. قال عمرو بن هشام -معللاً كفره برسالة محمد ﷺ-: «زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، قالوا منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه».

وزعموا أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ: «لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً».

ووسط هذه الجهالات المركبة والعداوات المقصودة والمضللة، ووسط هذه النماذج التي لا حصر لها من الضلال والغفلة، أخذ الإسلام رويداً رويدًا ينشر أشعته، فأخرج أمة من الظلام إلى النور، بل جعلها مصباحاً وهاجاً يضيء ويهدي، كما أن الإسلام رفع شعوباً وقبائل من السفوح إلى القمم.

والحديث عن السيرة النبوية لم يكتمل، وإن كانت لنا في الحياة بقية فلعلنا نستأنف الكتابة في الحلقة القادمة إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ حسن شباني

سفير الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ في كندا

العلم والرّحمة في حياة الحويني

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلامٌ على النبي المصطفى وبعد:

فإنَّ من أبرز سمات دين الله عزّ وجلّ الذي اختاره وارتضاه لجميع البشر هو أنّه دين الحقّ ودين الرّحمة. فالإسلام يدعو إلى اتبّاع الحق القائم على البرهان والدّليل وينهى أتباعه عن اتبّاع الباطل وما يتعلق به من بدع وخرافات، وكذلك يدعو إلى التّعامل مع النّاس بالرفق والرحمة والتماس الأعذار لهم، والمحافظة على الأعراض وعدم البغي في الحكم على النّاس والجماعات.

فقد قال الله عزّ وجلَّ في آخر سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال قبلها في السورة نفسها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٧٠].

❁ ولكنَّ هذه الدّعوة إلى اتبّاع الحق والتمسك به جاءت ممزوجة بالدّعوة إلى الرّحمة واتبّاع سُبُل الرّحمة والتمسك بها، كمبدأ أساسيّ من أُسُسِ هذا الدّين، وليست فضيلة من فضائل الأعمال قد يتهاون في تركها المسلمون ولا يرون غضاضة في إهمالها أو عدم القيام بها.

إذ كيف يكون ذلك وقد افتتح الله سبحانه وتعالى سورة من القرآن باسمه الرحمن؟ الدّال على سعة رحمته وعموم إحسانه، ثم ذكر في ثنايا السورة ما يدُلُّ على رحمته وأثرها في حياة النّاس، ومن أبرز هذه النّعم نعمة تعليم القرآن والبيان ووضع الميزان ليقوم النّاس بالعدل والقسط.

وكيف يكون ذلك وقد وصف الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ بأنّه أُرسل رحمة للعالمين، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال النبي ﷺ عن نفسه في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عندما طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على المشركين بأنه لم يُبعث لعاناً، فقد ورد في القصة أنّه قيل له: يا رسول الله، ادعُ على المشركين. قال ﷺ: «إنّي لم أُبعث لعّانا، وإنّما بُعثت رحمة»[١].

---

١ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن لعن الدّواب وغيرها. رقم: ٢٥٩٩. ينظر: موسوعة الحديث الشريف، ص: ١١٣١، دار السّلام للنشر والتّوزيع، الرياض ط: ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

وكيف يكون ذلك، وقد قال الحبيب ﷺ: «خاب عبدٌ وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر»[٢].

وقد قال الله عز وجلّ في وصف أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين وهم صحابةُ نبيّنا، رضي الله عنهم وأرضاهم، في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وكذلك تعلمنا في سورة الكهف عن النبيّ الصّالح الخضر عليه السّلام في قصّته مع موسى عليه السّلام.. أنّ الله جمع له بين العلم والرحمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وبناء على ما سبق، انتبه المحققون من أهل العلم والفضل إلى ضرورة الجمع بين الأمرين حتى تؤتي الجهود العلمية والدّعوية أُكُلَها على أحسن الوُجوه، فكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رغم شدته في بيان الحق ونصرته له، كثيراً ما يردد في كتبه ومقالاته أنّ أهل السنّة من أكثر النّاس تعظيماً للحق وأكثرهم رحمة بالخلق، وقد اشتهرت عنه العبارة المشهورة: «أهل السنّة هم أعرف النّاس بالحق وهم أرحم النّاس بالخلق»[٣].

---

٢ صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم: ٣٢٠٥، المكتب الإسلامي، المجلد الأوّل، ط: ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، بيروت.

٣ انظر عبارة مشابهة في مجموعة الفتاوى لابن تيمية، المجلد الثاني، الجزء الثالث، دار الوفاء، المنصورة، ط: ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص١٧٤.

ومن هؤلاء المحققين الذين عاشوا في عصرنا فضيلة العلامة أبو إسحاق الحويني رحمه الله، فقد كان مثالاً يُحتذى وقدوة تُتبع في مجال الإنصاف والعدل والأدب مع المخالف، وما ذلك إلا بسبب بركة الجمع بين الأصلين العظيمين في ديننا، العلم والرحمة.

فقد كنت كثيراً ما أستمع إلى بعض أجوبته ومداخلاته عندما يُسأل عن بعض مخالفيه في المنهج كالشيخ محمد الغزالي، أو الشيخ الشعراوي أو الأستاذ سيد قطب رحم الله الجميع، فيبدأ حديثه دائماً بالترحم عليهم ثم يلتمس لهم الأعذار وهو يصحح بعض مقولاتهم أو يرد عليها من وجهة نظره للموضوع، فلا تشعر بضغينة ولا حقد ولا رغبة جامحة في إسقاط الرموز أو تحطيم منجزاتهم.

ولنختر لذلك مثالاً واضحاً عندما سُئل في إحدى محاضراته عن حكم الاستفادة من كتاب الأستاذ سيّد قطب رحمه الله المسمى «في ظلال القرآن». قال في الجواب باختصار ما مضمونه أن الأستاذ سيّد قطب لم يكن عالماً متخصصاً في العلوم الشرعية وإنما كان أديباً يكتب بقلبه ويكتب بقلم الأديب. ثم أثنى على مروءته وتدينه الفطري الذي ورثه من أهل الصعيد، ثم بيّن أن كتاب «في ظلال القرآن» فيه فوائد وفيه أخطاء، وعدّ سيد قطب قد زلّت قدمه في بعض كتبه مثل كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» الذي كتبه قبل أن ينضم إلى جماعة الإخوان المسلمين.

ثم أخبر أنه رجل لم تُتح له فرصة البحث العلمي وكثرة القراءة في المصادر الشرعية بسبب الاعتقال والمكث في السجن. ثم ردّ على اتهام الأستاذ سيّد قطب بالقول بخلق القرآن قائلاً: «وأنا أجزم بأنّه لم يخطر

على باله القول بخلق القرآن». ثم تابع قائلاً: «أنا أخالفه في مسائل كثيرة، ولكن هذا ظلم بيّن». وبيّنَ أن المتتبعين للأخطاء والزلّات اتهموه بالقول بخلق القرآن بسبب عبارة زلّ بها قلمه وهي: «فأمّا القرآن فهو من صنع الله». ثم تابع قائلاً: «وهنا قد خانه قلمه الأدبي». والمقصود أن الأديب قد يستعمل ألفاظاً وعباراتٍ لا يقصد بها المعاني الشرعية الموجودة في بطون كتب العقيدة والفقه. ثمّ بيّنَ أن سيد قطب قد تراجع عن كثير من آرائه بعد أن مكث فترة في السجن وكتب كتابه **(لماذا أعدموني؟)** بيّنَ فيه أن السبيل الأنسب لإحداث التغيير داخل المجتمعات هو سبيل العلم الشرعي.

إذن يمكننا أن نلخص هذا المنهج في التعامل مع المخالف من علماء ودعاة أهل السنة والجماعة في النقاط التالية:

١ يبدأ طالب العلم أو العالم بالترحم عليهم إن كانوا قد انتقلوا إلى الدار الآخرة.

٢ يلتمس لهم العذر فيما قالوا، خاصة إذا كانوا من أهل الفضل والعلم وكانت لهم سابقة في الدعوة والتضحية من أجل الإسلام، وكانت لهم قدم سابقة في خدمة الدين ونصرة أهله.

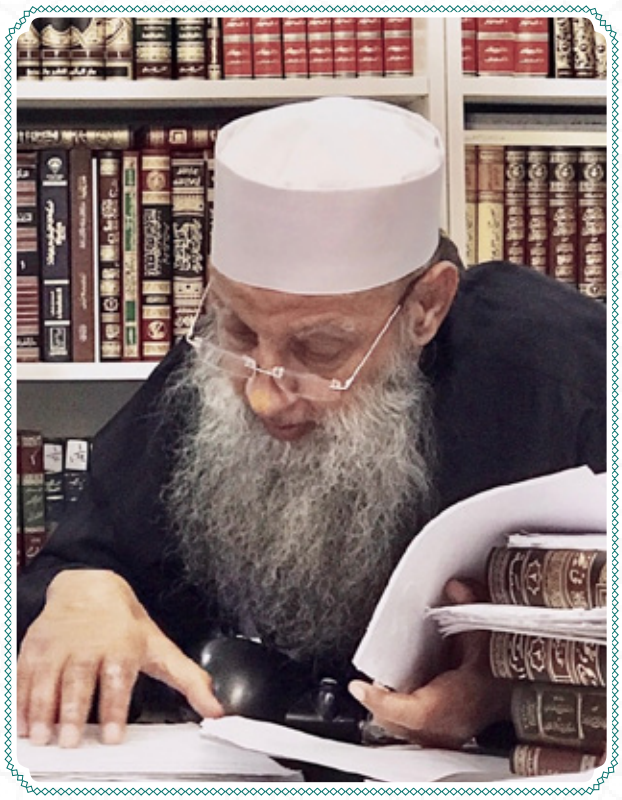

٣ يبيّن العالم أو المخالف أخطاءهم من وجهة نظره ولا يخوض في النيات ولا ينسب إليهم لازم القول؛ لأن الصحيح أن لازم القول ليس بقول.

٤ يبين للنّاس تراجعهم إذا تراجعوا عن أقوالهم السابقة؛ فكثير من الناس يقول بقول في شبابه أو في بداية طلبه للعلم ثم يتبين له خطؤه، فيصحح رأيه و يتراجع عن أقواله السابقة، ثم يأتي أهل البغي والمقاصد السيّئة فينشرون بين النّاس أقواله السابقة ويخفون أقواله الجديدة التي تراجع فيها عن آرائه السابقة.

٥ إن أخطأ هذا العالم في حسن الظن، فذلك أسلم لدينه ولآخرته، لأن الخطأ في حسن الظن أفضل بكثير من الخطأ في سوء الظن، فالأول سلامة وعافية والثاني مهلكة وباب من أبواب الشر والله المستعان.

٦ يبيّن العالم أو طالب العلم للنّاس أن التماس الأعذار لا يعني الإقرار على الأخطاء والزلّات. فيجمع بين تعظيم الحق ورحمة الخلق، وبذلك تجتمع كلمة الأمة ويتفرغ علماؤها وقادة الإصلاح فيها لمقارعة الباطل البيّن وفضح مخططات الأعداء الحقيقيين الذين يتربصون بأمة محمد ﷺ ويكيدون لها المكائد.

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فقه الحج

هذه دورة عن فقه الحج قام بإلقائها فضيلة الدكتور ياسر النجار، تناول فيها أهمية الحج وإنه ركن من أركان الإسلام، وذكر الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء بالتفصيل والتأصيل، ثم تكلم الشيخ عن تعريف الحج وأركانه وشروطه وعلى من يجب، وأنواع الحج وذكر ذلك في سبعة عشر محاضرة.

يمكنك الاشتراك في الدورة من هنا

من أهداف الدورة:

- تغطية جزء من فقه العبادات مما لا يسع المسلم جهله.
- معرفة حكم الحج وهل يجب على الفور.
- معرفة خصال الاستطاعة المعتبرة شرعًا.
- معرفة الشروط الخاصة بالنساء في الحج.
- معرفة شروط صحة الحج.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

17 محاضرة 10 ساعات

قصة الهجرة

دورة علمية تتناول حدث الهجرة كاملاً من بداية إرهاصات الهجرة إلى وصول النبي ﷺ المدينة، وأسبابها وأحداثها ونتائجها، وتبين ما ثبت وما لم يثبت من الوقائع التاريخية حول هذا الحدث العظيم، وتتناول حدث الهجرة النبوية بالتفصيل، وما الذي حدث مع النبي وأصحابه، والهجرة الأولى إلى الحبشة، ذكر الوفد الذين قدموا من الأنصار لبيعة رسول الله، وسرد حدث الهجرة على طريقة القراءة وإسقاطها على واقع المسلمين، حتى يستفيد من سردها كل مسلم ومسلمة.

9 محاضرات 3 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

أكاديمية أنصار النبي ﷺ
SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فِقهُ الصِّيَامِ

مع فضيلة الشيخ الدكتور
جعفر الطلحاوي
أستاذ الشريعة الإسلامية بالأزهر الشريف

هي دورة علمية يقدمها فضيلة الشيخ الدكتور/ جعفر الطلحاوي في فقه الصيام وما يلحق به في عدة حلقات، تُقدم شرحاً تفصيلياً لفقه الصيام، وذكر القول الراجح من أقوال العلماء، كما تجيب على أكثر الأسئلة شيوعا وتكراراً في باب فقه الصيام، وذكر الراجح من أقوال العلماء في المسألة، دون الدخول في تفاصيل أقوال المذاهب، والمسائل الخلافية بينهم، وما يلحق به كـ (الاعتكاف - وزكاة - الفطر)، وهي دورة علمية بين يدي رمضان نصل بها إلى عموم المسلمين تعليماً وتفقها.

20 محاضرة | 8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

شرح الأرجوزة الميئية

دورة شرح الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية ﷺ، التي ألفها العلامة ابن أبي العز الحنفي الدمشقي في مئة بيت، ذكر فيها سيرة وحال النبي ﷺ من مولده إلى وفاته، في أبيات على بحر الرجز ولذا سميت الأرجوزة، وقام بشرحها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر في كتاب تحت عنوان (القيم النبوية في الأرجوزة الميئية) في أربعة عشر لقاء في أكاديمية أنصار النبي ﷺ.

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

15 محاضرة | 5 ساعات

قواعد الإدارة النبوية

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة قواعد الإدارة النبوية يقدمها فضيلة الدكتور محمد سعيد بكر، يتناول فيها كيف كانت إدارة النبي ﷺ في التخطيط والتنظيم، والمتابعة، والمراقبة، والتوجيه، وكيف تعامل مع إدارة الأزمات، وإسقاط ذلك على واقع الإدارة الحديثة وآلية تفعيل هذه القواعد في وقتنا الحاضر، وذلك في عشر محاضرات.

10 محاضرات

3 ساعات

أنصار

أكاديمية أنصار النبي ﷺ

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

فقه الجهاد

30 محاضرة

10 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

دورة علمية تأصيلية في فقه الجهاد وأحكامه في الشريعة الإسلامية، قدمها فضيلة الدكتور عبد الحي يوسف، تناول فيها تعريف الجهاد وأنواعه ومراتبه ومراحل تشريعه، ثم استفاض الشيخ في التفصيل في مسائل الباب وبيان أحكامها وأدلتها وإنزال ذلك على واقع الجهاد في فلسطين.

شرح العقيدة المقدسية

دورة شرح العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ الدكتور الحسن الكتاني، شرح فيها كتاب العقيدة المقدسية لفضيلة الشيخ محمد يسري إبراهيم، وتوضح الدورة عقيدة المسلمين في بيت المقدس والمسجد الأقصى، ومكانة هذه المقدسات في الإسلام، وما يجب على المسلمين تجاهها، مع الرد على كافة الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

19 محاضرة

8 ساعات

اضغط هنا للاشتراك في الدورة

سلسلة

السيرة النبوية

استعراض لوقائع السيرة النبوية
التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

الشيخ د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- الغزوات النبوية

سلسلة السيرة الفرنسية

السيرة النبوية

استعراض لسيرة النبي ﷺ
من خلال دراسات ومؤلفات
المستشرقين والمؤرخين
الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

- السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

سلسلة شرح

كتاب الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

سلسلة شرح كتاب الشفا

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

كتاب

السيرة النبوية

بعدة لغات

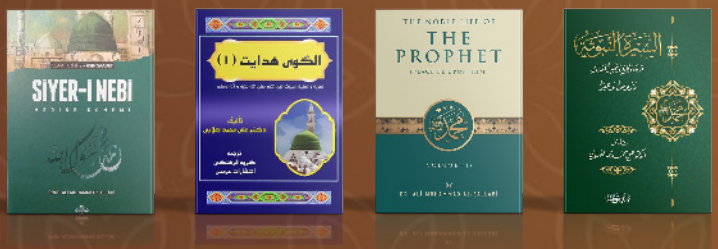

الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

الأرجوزة المئية
في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة المئية
في ذكر حال أشرف البرية
لابن أبي العز الحنفي

الأرجوزة المئية
في ذكر حال أشرف البرية

تعليق الشيخ: مختار بن العربي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

كتاب
رياض الصالحين
للإمام النووي

زبدة أحاديث السنة النبوية كما
جمعها الإمام الكبير محيي الدين
شرف النووي

رابط الكتاب المسموع
يمكنك تحميله كتطبيق
على الهاتف من هنا

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

كتاب الأربعين في نصرة النبي الأمين

الشيخ أحمد الحسني الشنقيطي

خلاصة
قصة فلسطين

رابط الكتاب

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

﴿قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾

أئمة الهدى

من تراث العلماء والدعاة والشهداء الراحلين

خصصنا قسم الراحلين في هذا العدد لفتاوى علماء الأزهر الشريف القائلة بوجوب الجهاد في فلسطين ووجوب مساندته على الدول الإسلامية وشعوبها، وهو ما يتسق مع فتوى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ويفضح سائر الأنظمة العربية القائمة الآن ويثبت مخالفتها البينة الواضحة لتعاليم الإسلام وأحكامه.

بيان للناس من كبار علماء الأزهر
مجموعة من العلماء ١٤٣

علماء الجامع الأزهر:
إنقاذ فلسطين واجب ديني ١٤٨
مجموعة من العلماء

فتوى الأزهر الشريف حول إسرائيل
لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ١٥١

تحريم بيع فلسطين
لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ١٥٩

بيان للناس من كبار علماء الأزهر

مجموعة من العلماء

رحمهم الله*

- يا أبناء الإسلام: قاتلوا الصهاينة وجاهدوا في سبيل الله
- فلسطين مِلك للمسلمين ليس لأحد أن ينازعهم فيها
- إياكم أن يكتب التاريخ أن العرب قد خَرّوا أمام الظلم ساجدين
- أعدّوا كتائب الجهاد فهو فرض عيْن على كل مستطيع

---

* تاريخ الفتوى: ١٩٤٨م. المصدر: فتاوي الأزهر في وجوب الجهاد وتحريم التعامل مع الكيان الصهيوني، إعداد: جواد رياض، ط: مركز يافا/القاهرة، ص٢٦-٣٠.

إلى أبناء العروبة والإسلام من علماء الجامع الأزهر الشريف، ﴿هذا بيانٌ للناسِ وهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلمتقينَ﴾..

بسم الله الرحمن الرحيم.. يا معشر المسلمين.. قُضي الأمر وتألبت عوامل البغي والطغيان على فلسطين، وفيها المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه.

قُضي الأمر، وتبين لكم أن الباطل ما زال في غلوائه، وأن الهوى ما فتئ على العقول مسيطراً، وأن الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والإجحاف، ولم يبقَ بعد اليوم صبر على تلكم الهضيمة التي يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا ويجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحّد الله بينها في الدين واللغة والشعور.

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قرار من هيئة لا تملكه، وهو بعدُ قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة، ففلسطين ملك العرب والمسلمين، بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية، وستبقى إن شاء الله رغم تحالف المبطلين ملك العرب والمسلمين، وليس لأحد كائناً من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها.

فإذا كان البغاة العتاة قصدوا بالسوء مِن قَبل هذه الأماكن المقدسة فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى، وردوا البغي على أعقابه مُقلَّم الأظفار مُحطَّم الأسنّة، فإن في السويداء اليوم رجالاً وفي الشرى آسادًا، وإن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى، ﴿وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ﴾.

يا أبناء العروبة والإسلام:

لقد أعذرتم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا حتى تبين للناس وجه الحق سافراً، ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون، وصمت الآذان، والتوت الأعناق، فإذا بكم تقفون في هيئة الأمم وحدكم، ومدعو نصر العدالة يتسللون عنكم لواذاً، بين مستهين بكم، وممالئ لأعدائكم، ومتستر بالصمت متصنع للحياد، فإذا كنتم قد استنقذتم بذلك جهاد الحجة والبيان، فإن وراء هذا الجهاد لإنقاذ الحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة، وكلمته مسموعة تدفعون به كيانكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم، فذودوا عن الحمى، وادفعوا الذئاب عن العرين، وجاهدوا في الله حق جهاده..

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

يا أبناء العروبة والإسلام:

خذوا حذركم فانفِروا ثُباتٍ أو انفِروا جميعاً، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين، و قبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جَلل، وإن هذا اليوم الفصل وما هو الهزل، فليبذل كل عربي وكل مسلم فى أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يرد عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين.. سدّوا عليهم السبل، واقعدوا لهم كل مرصد، وقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدّوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن مَن يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم لله أنفسكم وأموالكم فها هو ذا وقت البذل والتسليم، وأوفوا بعهد الله يوفّ بعهدكم، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة وذودكم عن الحق، ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم، لا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق الاحتماء بكم، فاحذروا أن تعتدوا على أحد منهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

وتتجاوب بعدُ الأصداء، في كل مشرق ومغرب، بالكلمة المحببة إلى المؤمنين:

الجهاد، الجهاد، الجهاد!

والله معكم..

التواقيع:

- الشيخ محمد مأمون الشناوي، شيخ الجامع الأزهر.
- الشيخ محمد حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية.
- الشيخ عبد الرحمن حسن، وكيل شيخ الجامع الأزهر.
- الشيخ عبد المجيد سليم، مفتي الديار المصرية السابق.
- الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية.
- الشيخ محمود أبو العيون، السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية.
- الشيخ عبد الجليل عيسى، شيخ كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر.
- الشيخ الحسيني سلطان، شيخ كلية أصول الدين.
- الشيخ عيسى منون، شيخ كلية الشريعة.
- الشيخ محمد الجهني، شيخ معهد القاهرة.
- الشيخ عبد الرحمن تاج، شيخ القسم العام.
- الشيخ محمود الغمراوي، المفتش بالأزهر.

أعضاء جماعة كبار العلماء:

- الشيخ إبراهيم حمروش.
- الشيخ محمد غرابة.
- الشيخ أحمد حميده.
- الشيخ محمود شلتوت.
- الشيخ حامد محيسن.
- الشيخ محمد أبو شوشه.
- الشيخ إبراهيم الجبالي.
- الشيخ عبد الفتاح العناني.
- الشيخ علي المعداوي.
- الشيخ محمد الشربيني.
- الشيخ محمد عرفة.
- الشيخ عبد الرحمن عليش.
- الشيخ محمد العتريس.
- الشيخ فرغلي الريدي.

وكثير غير هؤلاء.. من العلماء والمدرسين في الكليات والمعاهد الأزهرية، في القاهرة والأقاليم المصرية.

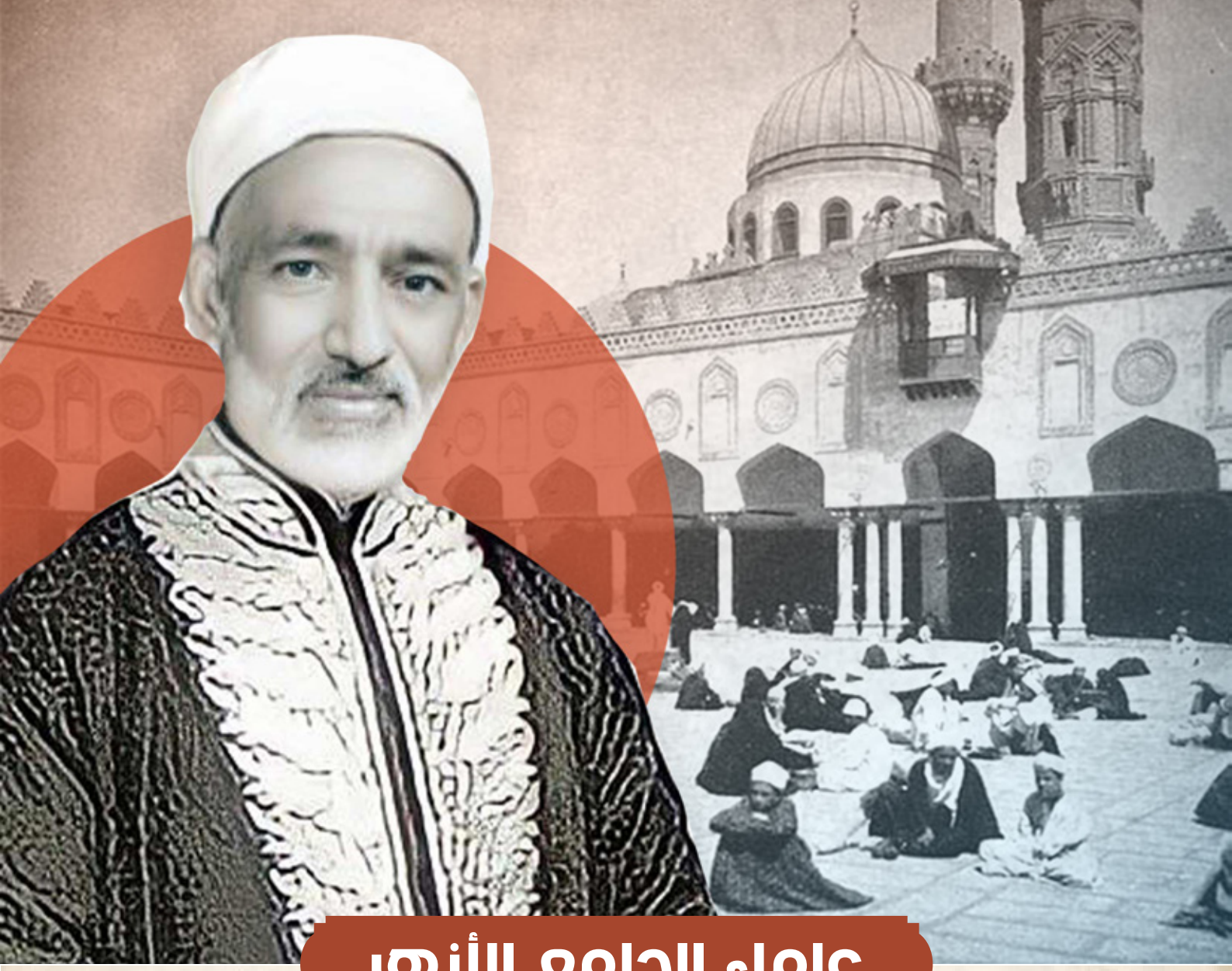

علماء الجامع الأزهر

إنقاذ فلسطين واجب ديني

مجموعة من العلماء

رحمهم الله*

- إنقاذ فلسطين واجب على المسلمين في كافة نواحي الأرض
- بذل النفْس والمال لنجدة أهل فلسطين واجب
- يجب على الحكومات تهيئة المأوى والنفقة للفلسطينيين

---

* سنة ١٩٤٨ اجتمع علماء الجامع الأزهر الشريف بشأن قضية فلسطين، وأفتوا بهذه الفتوى، المصدر: فتاوي الأزهر في وجوب الجهاد وتحريم التعامل مع الكيان الصهيوني، إعداد: جواد رياض، ط: مركز يافا/القاهرة، ص٣٩-ص٤١.

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير مَن جاهد في سبيل الله، سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه أجمعين.

في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ١٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧، الموافق ٢٦ إبريل سنة ١٩٤٨، عُقد في القاعة الكبرى بالأزهر الشريف اجتماع برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ضم جمعاً كبيراً من علماء الأزهر يتقدمهم حضرات أصحاب الفضيلة:

مفتي الديار المصرية ووكيل الجامع الأزهر، ومديره، وسكرتيره العام، وأعضاء جماعة كبار العلماء، وشيوخ الكليات والمعاهد الأزهرية، والمفتشون.

واستعرضوا مسألة فلسطين على ضوء الحوادث التي نزلت بها أخيراً، فهامت لها قلوب المسلمين والعرب، وتوجسوا من ورائها الخطر الداهم على عزة الإسلام والعروبة في بلاد الإسلام والعروبة .

وبعد تداول الآراء وبحث المسألة من كافة نواحيها وعرضها على حكم الله في مثل هذه النوازل، رأوا أن الأمر أخطر من أن يُقال فيه كلام، أو يوجَّه فيه بيان، وأن الواجب الحتم يقضي بالعمل الحاسم دون تباطؤ ولا إمهال، وبذلك استقر رأيهم بالإجماع على ما يأتي:

- **أولاً:** إن إنقاذ فلسطين قلب العروبة والإسلام واجب ديني على المسلمين عامةً في كافة نواحي الأرض، يستوي فيه الملوك والأمراء والرؤساء والحكومات والشعوب، وأن السبيل إلى ذلك هو أن تتكاتف

الحكومات الإسلامية والعربية على أن تتخذ فوراً كل ما تستطيع من الوسائل الفعالة الحاسمة، عسكرية أو غير عسكرية، لإنقاذ فلسطين، وأن يبذل كل مسلم وكل عربي ما يستطيع من مال ونفس لمعاونة الحكومات والوقوف معها في صفوف النجدة والإنقاذ.

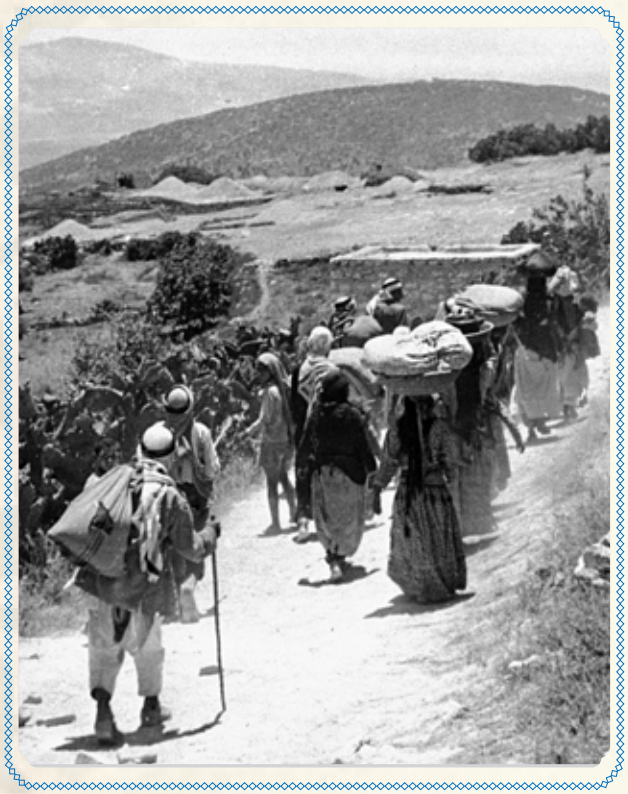

- **ثانياً:** مطالبة الحكومات الإسلامية والعربية بتهيئة المأوى والنفقة- على النظام الذي تراه كل حكومة- للعرب المشردين من فلسطين، من أطفال ونساء وشيوخ وعجزة، وعلى الشعوب العربية والإسلامية السمع والطاعة للحكومات في كل ما تقرره في هذا الشأن، فذلك واجب ديني في عنق كل مسلم وعربي.

- **ثالثاً:** إبلاغ هذا القرار إلى جميع الحكومات الإسلامية والجامعة العربية ونشره في كافة الشعوب الإسلامية، تبليغاً لحكم الله، وتنفيذاً لكلمة الله.

﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [لتوبة: ٣٨].

فتوى الأزهر الشريف حول إسرائيل

لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

- يجب على مسلمي العالم إنقاذ فلسطين
- الصُلح مع إسرائيل باطل مُحرّم
- يحرُم التعاون مع الدول التي تدعم إسرائيل
- على المسلمين الاقتداء بالرسول ﷺ في قتال الأعداء

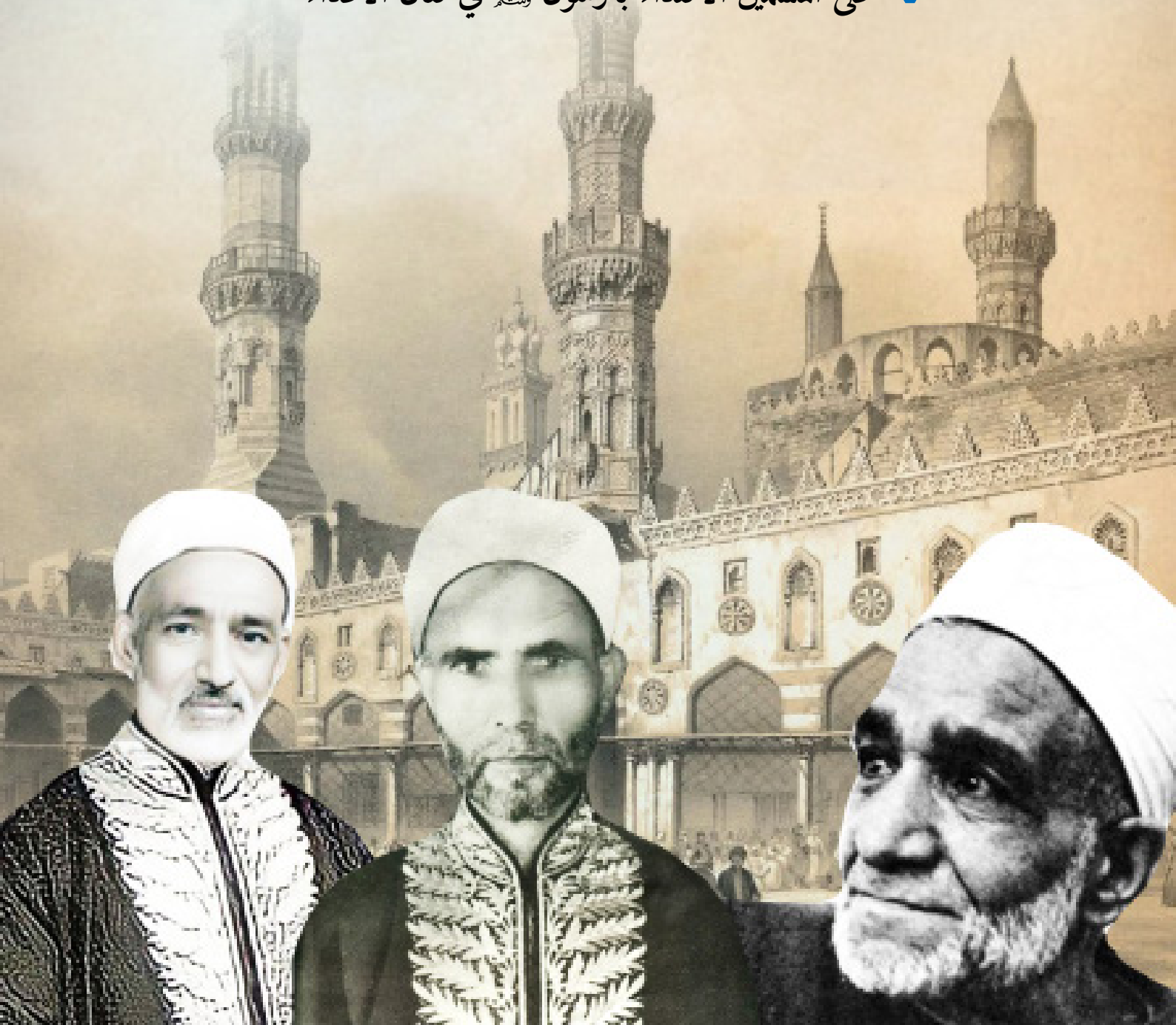

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر في يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٥٦، برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتي الديار المصرية سابقاً، وعضوية السادة أصحاب الفضيلة: الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقاً (شافعي المذهب)، والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفي المذهب)، والشيخ محمد الطنيخي عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكي المذهب)، والشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلي المذهب)، وبحضور الشيخ زكريا البري أمين لجنة الفتوى.

ونظرت في الاستفتاء الآتي وأصدرت فتواها التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها، وأخرجتهم من ديارهم، وشردتهم نساءً وأطفالاً وشيباً وشباناً في آفاق الأرض، واستلبت أموالهم، واقترفت أفظع الآثام في أماكن العبادة والآثار والمشاهد الإسلامية المقدسة، وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التي ناصرتها وتناصرها في هذا العدوان الأثيم، وأمدتها بالعون السياسي والمادي لإقامتها

دولة يهودية في هذا القطر الإسلامي بين دول الإسلام، وعن حكم الأحلاف التي تدعو إليها دول الاستعمار، والتي من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء في أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها، وحيال المشروعات التي تحاول إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها، وفي ذلك تركيز لكيانها، وتقوية لسلطانها، مما يضيق الخناق على جيرانها، ويزيد في تهديدها لهم، ويهيئ للقضاء عليهم.

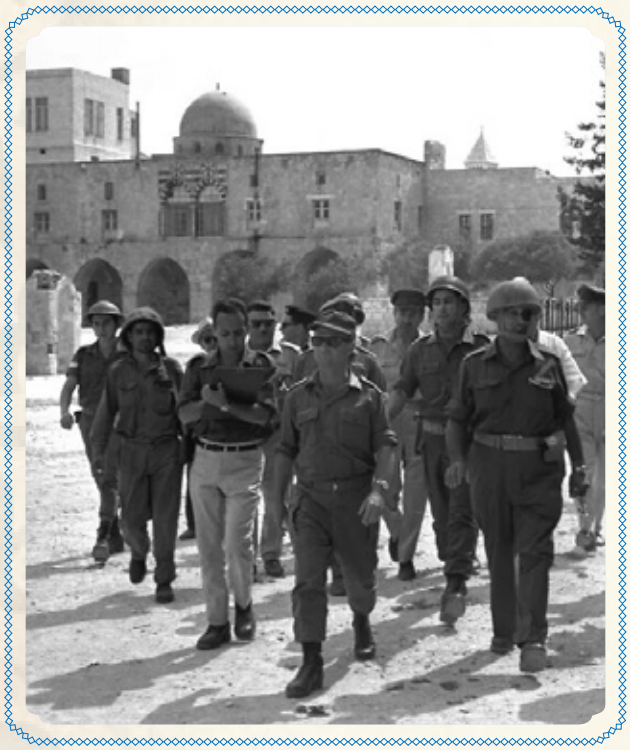

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل كما يريده الداعون إليه، لا يجوز شرعاً، لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على عدوانه. وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه. ففي الحديث الشريف: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون عِرضه فهو شهيد». وفي حديث آخر: «على اليد ما أخذت حتى ترد».

فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا فلسطين، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم، على أي وجه يمكّن اليهود من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لردّ هذه البلاد إلى أهلها، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحي ومصلى الأنبياء الذي بارك الله حوله، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية، من أيدي

هؤلاء الغاصبين، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ومن قصّر في ذلك، أو فرّط فيه، أو خذل المسلمين عنه، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام وضد هذا القُطر العربي الإسلامي، فهو في حكم الإسلام مفارق جماعة المسلمين، ومقترف أعظم الآثام.

كيف ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله وديارهِ أشد الكيد، منذ عهد الرسالة إلى الآن، وأنهم يعتزمون ألا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى، وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهري النيل والفرات.

وإذا كان المسلمون جميعاً وحدةً لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام، فإن الواجب شرعاً أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد واستنقاذها من أيدي الغاصبين، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ

ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وأما التعاون مع الدول التي تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء في هذه الديار، فهو غير جائز شرعاً، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغي والمناصرة لها في موقفها العدائي ضد الإسلام وديارهم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد جمع الله سبحانه في آية واحدة جميع ما تخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التي يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء، وحذر المؤمنين من التأثر بشيء من ذلك واتخاذه سبباً لموالاتهم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

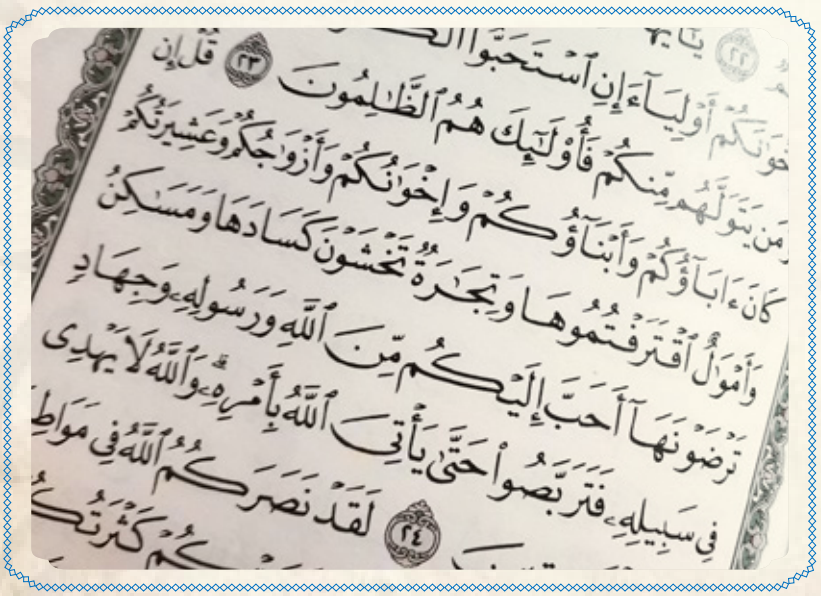

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء ومُوادّتهم يستوي فيها إمدادهم بما يقوّي جانبهم ويثبّت أقدامهم بالرأي والفكرة، وبالسلاح والقوة: سراً وعلانية، مباشرة وغير مباشرة. وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات.

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف التي تدعو لها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية، ابتغاء الفتنة، وتفريق الكلمة، والتمكين لها في البلاد الإسلامية، والمضي في تنفيذ سياستها حيال شعوبها، لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تستجيب لها وتشترك فيها، لما في ذلك من الخطر العظيم على البلاد الإسلامية، وبخاصة فلسطين الشهيدة التي سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نكايةً في الإسلام وأهله وسعياً لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية، لتكون تكأة لها في تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين في أنفسهم وأموالهم وديارهم، وهي في الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهي عنها والتي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن موالاة الأعداء إنما تنشأ عن مرض في القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التي تظهر بموالاة الأعداء، فقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

وكذلك يحرم شرعاً على المسلمين أن يمكّنوا إسرائيل ومن ورائها الدول الاستعمارية التي كفلت لها الحماية والبقاء، من تنفيذ تلك المشروعات التي لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود وبقاؤها في رغد العيش وخصوبة

في الأرض، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام في أعز دياره، وتفسد في البلاد أشد الفساد، وتكيد للمسلمين في أقطارهم، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها، ويقفوا صفاً واحداً في الدفاع عن حوزة الإسلام؛ وفي إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التي من أولها هذه المشروعات الضارة. ومن قصر في ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبياً منها، فقد ارتكب إثماً عظيماً.

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول ﷺ، ويقتدوا به، وهو القدوة الحسنة، في موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه منها ومعه أصحابه رضوان الله عليهم من ديارهم وحالوا بينهم وبين أموالهم وإقامة شعائرهم، ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من المعتدين، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التي بها يستظهرون، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم في اقتصادياتهم التي عليها يعتمدون، حتى نشبت بينه وبينهم الحروب، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال، حتى أتم الله عليه النعمة، وفتح على يديه مكة، وقد كانت معقل المشركين، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان، وقلّم أظافر الشرك والطغيان.

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء، مع فارق لا بد من رعايته، وهو أن مكة كان بلداً مشتركاً بين المؤمنين والمشركين، ووطناً لهم أجمعين، بخلاف أرض فلسطين، فإنها ملك للمسلمين، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر في مكة الحق ويخذل الباطل ويردها إلى المؤمنين، ويقمع الشرك فيها والمشركين، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقتال المعتدين، فقال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

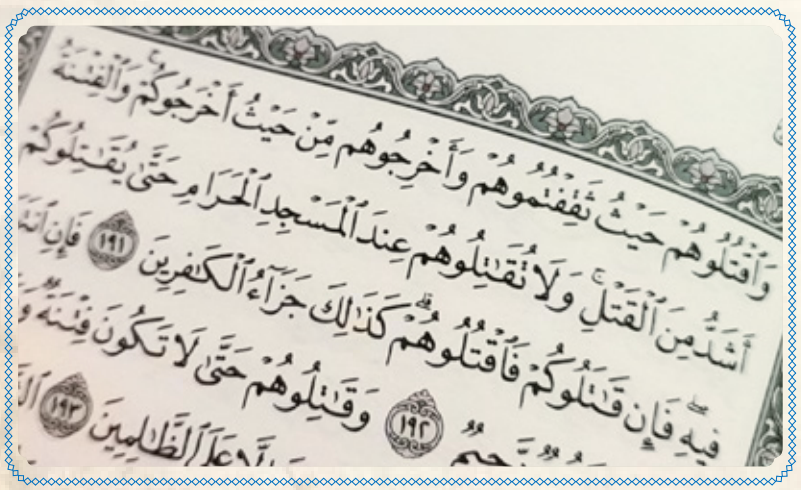

والله سبحانه وتعالى نبّه المسلمين على ردّ الاعتداء بقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ومن مبادئ الإسلام محاربة كل منكر يضر بالعباد والبلاد، وإذا كانت إزالته واجبة في كل حال، فهي في حالة هذا العدوان أوجب وألزم، فإن هولاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد، بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهي احترام المساجد وأماكن العبادة. وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٤١١].

أما بعد: فهذا حكم الإسلام في قضية فلسطين، وفي شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها، وفيما تريده إسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها، وفي واجب المسلمين حيال ذلك، تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة، وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين، وتدبير الكائدين، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة في ذلك، إعزازاً لدينه القويم.

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به، وعلى نصرة دينه، وعلى العمل بما يرضيه.

والله أعلم.

تحريم بيع أرض فلسطين
ووجوب مقاطعة اليهود

لجنة الفتوى بالجامع الأزهر

رحمهم الله*

- مَن يعاون الصهاينة بأي نوع من المعاونة مرتد عن الإسلام
- أعظم الجرائم مقتاً عند الله موالاة الصهاينة
- على المسلمين مقاطعة المطبّعين مع اليهود

* المصدر: فتاوي الأزهر في وجوب الجهاد وتحريم التعامل مع الكيان الصهيوني، إعداد: جواد رياض، ط: مركز يافا/القاهرة، ص٤٣-٤٨.

بسم الله الرحمن الرحيم.. جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي:

لقد شاع واستفاض بين الناس، عامتهم وخاصتهم خبر غزو اليهود الصهيونيين للبلاد المقدسة فلسطين، التي تضم أُولى القبلتين وثالث الحرمين وغير ذلك من المقدسات الأخرى، وعزمهم المصمم على تحويلها إلى مملكة يهودية، والاستيلاء على أراضيها ومقدساتها وإخراج أهلها العرب منها.

وأعظم وسيلة يتذرع بها اليهود لبلوغ مآربهم شراء الأرض من العرب وإخراجها من حيازتهم، وجعلها ملكاً للأمة اليهودية والاستيلاء على اقتصادياتها بقصد إفقار أهلها المؤدي إلى نزوحهم عنها.

والمرجو بيان الحكم الشرعي فى كل شخص يبيع أرضه لليهود، أو يعمل سمساراً لترويج ذلك البيع، أو يعينهم على الوصول إلى مآربهم من امتلاك البلاد وجعلها يهودية بأي نوع من أنواع الإعانة والتعاون، فهل يرتد بذلك عن دينه ويعامل معاملة المرتدين؟ من الحكم بطلاق زوجته، واحتقاره ونبذه، وعدم الصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين، مع العلم بأن بيع الأرض لليهود ومساعدتهم تجارياً واقتصادياً وشراء بضائعهم ومنتوجاتهم، كل ذلك قد أصبح معلوماً لدى أهل فلسطين خاصة، والمسلمين عامة بأنه أهم الوسائل المؤدية إلى وصول اليهود لمطامعهم المذكورة.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: أما بعد:

فتفيد اللجنة بأن من أعظم الجرائم إثماً وأشد المنكرات مقتاً عند الله، أن يتخذ المسلم له أولياء من أعداء دينه المناوئين له المعتدين على أهله، أو يمكّن لهم بفعله من إيذاء المسلمين في دينهم، والاحتيال على سلب أموالهم، وتجريدهم من أرضهم وديارهم، واتخاذ ذلك وسيلة إلى إضعاف أمرهم، وكسر شوكتهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة غير إسلامية تتسلط عليهم بالحيلة أو العهد، وتنشر سلطانها عليهم بالأمر والنهي.

وقد شدد الله النكير على من يتولون أعداء الدين أو يتخذون لهم بطانة من غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ﴾ [الممتحنة: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

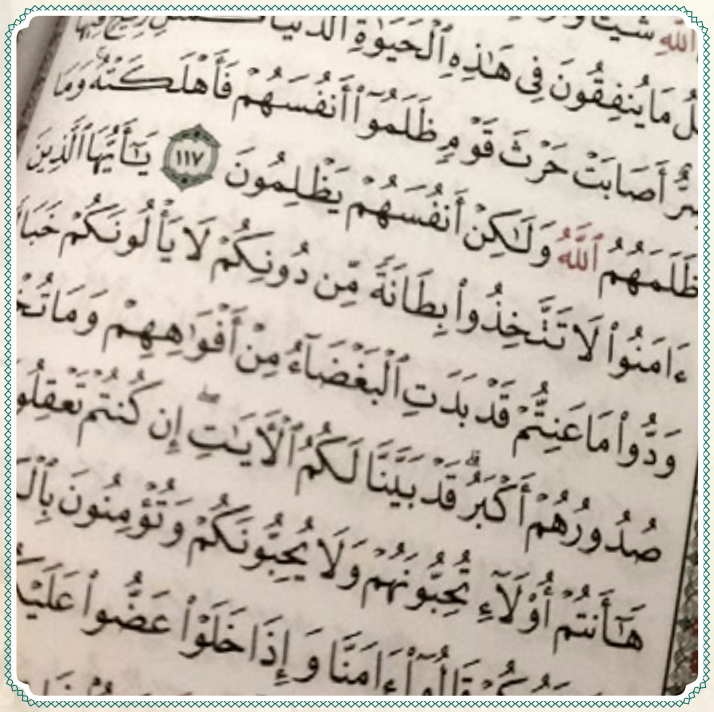

لم يكتفِ القرآن بالنهي عن موالاة المعتدين من غير المؤمنين، وتحريم موادتهم، بل جعل ذلك منافياً للإيمان ونفى صاحبه من

سجل أهل الإسلام. اقرأ قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله عز وجل: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ولا شك أن من يعملون على إيذاء المسلمين في دينهم، ويتخذون مختلف الوسائل للتسلط عليهم بالقوة أو الحيلة بإغراء الضعفاء بالمال وغيره من عرض الدنيا، وتجريدهم من أرضهم ودورهم توصلاً إلى إذلالهم وإخضاعهم لسلطان غير سلطان دينهم هم من شر من يحادون الله ورسوله.

الملك عبدالعزيز مصافحا وزير الدفاع الأردني عبدالقادر الجندي بحضور ملك الأردن عبد الله الأول بن الحسين والأمير سعود بن عبد العزيز عام ١٩٤٨

كما لا شك أن بذل المعونة لهؤلاء، وتيسير الوسائل التي تساعدهم على تحقيق غايتهم التي فيها إذلال المسلمين، وتبديد شملهم ومحو دولتهم، أعظم إثماً وأكبر ضرراً من مجرد موالاتهم وموادتهم التي حكم الله بمنافاتها لخالص الإيمان.

فالرجل الذى يحسب نفسه من جماعة المسلمين، إذا أعان أعداءهم في شيء من هذه الآثام المنكرة، وساعد عليها -مباشرة أو بواسطة- لا يُعد من أهل الإيمان، ولا ينتظم في سلكهم، بل هو -بصنيعه- حرب عليهم، منخلع من دينهم، وهو -بفعله الآثم- أشد عداوةً من المتظاهرين بالعداوة للإسلام والمسلمين.

فعلى المسلمين أن يتبينوا أمرهم، ويأخذوا حذرهم، ويثوبوا إلى رشدهم، فيصلحوا من شأنهم، ويتبعوا هدى القرآن في حفظ كيانهم، وتقوية دولتهم. وأن تكون شئون دينهم وأوطانهم أحب إليهم من

كل شيء، حتى لا يدخلوا في أهل الوعيد الشديد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

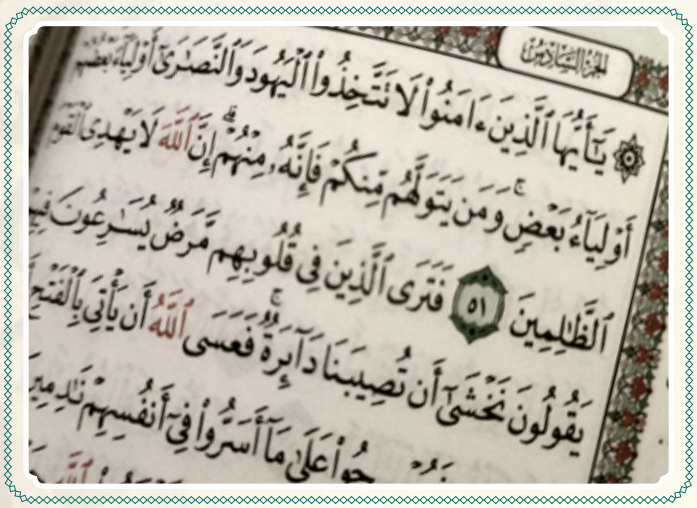

- عليهم أن يقتفوا في ذلك سيرة نبيهم ﷺ ويسيروا على ما رسم لهم من خطط صالحة، فيوالوا المؤمنين، ويبروا المسالمين من غير المسلمين، ويعادوا من عادى الله أو مكر بأهل دينه وسعى في إيذائهم والتضييق عليهم في أوطانهم، وعمل على تفريق وحدتهم وتمزيق جماعتهم.

وعلى المسلمين أن يعادوا هؤلاء وينبذوهم ويقاطعوهم في متاجرهم ومصانعهم ومساكنهم ومجتمعاتهم، وأن يصنعوا هذا الصنيع مع كل من يوالي هؤلاء الأعداء أو يعينهم على مآربهم ويمهد لهم السبيل التي يصلون منها إلى أغراضهم.

وقد قاطع رسول الله ﷺ والمؤمنون نفراً من الصحابة تخلفوا عن غزوة تبوك ونبذوهم، فكانوا لا يخالطونهم في اجتماع ولا يشاركونهم في شأن، تجنبوا مؤاكلتهم، ومجالسهم، والسير معهم، والسلام عليهم.

إن هؤلاء المتخلفين لم يعينوا على المسلمين عدواً، ولم يمهدوا لأعداء الدين طريق الكيد والمكر لأهل الدين، ولم يبيعوهم ما يتقوّون به عليهم ويشتد به سلطانهم، ولم يأتوا بأي عمل إيجابي يعد معاونة للأعداء، ثم إنهم كانوا قلة ضئيلة لم يستوجب تخلفهم خذلان جيش المسلمين أو انتقاض أمره. وكل ما كان منهم أن تخلفوا عن الغزو مع قدرتهم عليه، ومع ذلك نبذهم النبي ﷺ وأصحابه، وقاطعوهم مقاطعة مكثوا خمسين يوماً

يتحرقون بآلامها وتتلظى قلوبهم بالندم والحسرة من أجلها، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب الله عليهم وعفا عنهم.

هذا شأن الله فيمن لم يكن منه إلا مجرد التخلف عن جهاد لم يُغزِ الأعداء فيه بالفعل على بلاد المسلمين فما بالنا بمن يتصدى لمعاونة الأعداء، ويمكّنهم من تثبيت أقدامهم في بلاد الإسلام والمسلمين؟

لا يشك مسلم في أن من عاون هؤلاء الأعداء بأي ضرب من ضروب المعاونة ببيع شيء من أرضه، أو التوسط في هذا البيع أو بمعاملتهم تجارياً واقتصادياً، أو بخروجه عن جماعة المدافعين عن بلادهم، يكون أعظم جرماً وأكبر إثماً ممن ترك الجهاد وهو قادر عليه.

ولا يشك مسلم أيضاً أن من يفعل شيئاً من ذلك، فليس من الله ولا رسوله ﷺ ولا المسلمين في شيء، والإسلام والمسلمون براء منه وهو بفعله قد دلّ على أن قلبه لم يمسه شيء من الإيمان، ولا محبة الأوطان، والذى يستبيح شيئاً من هذا بعد أن استبان له حكم الله فيه، يكون مرتداً عن دين الإسلام فيفرَّق بينه وبين زوجه، ويحرم عليها الاتصال به، ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفَن في مقابر المسلمين.

وعلى المسلمين أن يقاطعوه: فلا يسلموا عليه، ولا يعودوه إذا مرض، ولا يشيعوا جنازته إذا مات، حتى يفيء إلى أمر الله ويتوب توبة يظهر أثرها في نفسه وأحواله، وأقواله وأفعاله.

هذا فإذا كان من بين المسلمين أو إخوانهم المواطنين لهم من هو يحتاج إلى بيع شيء من أرضه وجب على جماعة المسلمين أن يدفعوا حاجته بشراء ذلك منه، أو بمساعدته بما يغنيه عن البيع، كما يجب عليهم أن يبذلوا جهودهم، ويتعاونوا بكل قواهم على دفع خطر هؤلاء الأعداء الظالمين.

والله أعلم.

رئيس لجنة الفتوى عبد المجيد سليم

١٤ شعبان سنة ١٣٦٦

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

الصادعون بالحق

من تراث العلماء والدعاة الأسرى

رحلة مع جُند الله المُقربين ١٦٦
د. محمد موسى الشريف

هكذا يقول رب الجنود ١٧٨
م. خالد حربي

الثبات على الحق أول النصر ١٨٤
د. عبد الرحمن البر

حسن البنا شهيد فلسطين ١٩٠
أ.د رشاد البيومي

من دروس التضحية والثبات ١٩٤
د. علي بن عمر بادحدح

قوة وثبات المسلمين يوم كنا عظماء ٢٠٢
الشيخ خالد الراشد

د. محمد موسى الشريف

فك الله أسره*

رحلة مع جُند الله المُقربين

يجدر بكل عظيم من العظماء وصفيّ من الأصفياء، من جند الله تعالى المقربين، ومن الدعاة العاملين أن يكون ثابتاً شامخاً راسخاً، لا يتزلزل ولا يتقلب. والأمثلة على هذا عظيمة كثيرة معروفة.

١ ثبات الأنبياء

فالناظر إلى حال الأنبياء -خاصة أولي العزم منهم- يجد صور الثبات الرائعة القوية، فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يؤمن له إلا قليل من قومه وعاداه منهم أقرب الأقربين، وألقي في النار، وامتُحن بالأمر بذبح بِكره إسماعيل، ولم تزِده تلك المحن إلا ثباتًا على الحق والطهر.

* المقال مقتبس من كتاب (الثبات)، لمحمد موسى الشريف، ط: دار الأندلس الجديدة/القاهرة، ط١. ص١٨-٣٠.

وهذا رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام يواجَه من قِبل اليهود، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، بأعظم ما يواجَه به نبي من الأنبياء؛ من تكذيب وإعراض وسخرية واتهام، فلم يزده ذلك كله إلا ثباتًا وقوة وعزماً.

والناظر لسيرة رسولنا ﷺ يعلم عِظَم ثباته وقوة يقينه، بأبي هو وأمي، ويكفي قوله ﷺ حينما ضغط عليه الكافرون ليهادنهم أو يلين لهم: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه.. ما تركته».

وقد ثبت النبي ﷺ ثباتاً عظيماً، فقد سلك معه الكفار مسالك عدة ليثنوه عن ثباته فما لان وما هان ﷺ، «سلكوا معه طريق الإغراء بالمال والرئاسة والجاه، فما استكان وما خضع.سلكوا معه طريق الضغط العائلي والتأثير الطائفي، فما استكان وما خضع.سلكوا معه طريق الاستهزاء والسخرية والاتهام فما استكان وما خضع. سلكوا معه طريق المقاطعة الاقتصادية الشاملة له ولمن آزره فما استكان وما خضع.وقرروا أخيراً اغتياله فما استكان وما خضع. وبعد أن أذن الله له بالهجرة حاربوه بحملات متعددة وحروب طاحنة ليستأصلوا دعوته وأتباعه، فما كان ذلك يرده عن تبليغ الدعوة ونشرها في الأرض»[٢].

---

١ السيرة النبوية، لابن هشام، (٢٦٦/١)، وهذه قولة مشهورة ولكن ليس لها سند متصل فيما أعلم، والله أعلم.

٢ (صفات الداعية النفسية)، الأستاذ عبد الله علوان، ص٣٧-٣٨.

ولنطُف قليلاً في الأحاديث والآثار والأخبار، لنرى صوراً للثبات العظيم على الحق المبين في حياة الأنبياء والصالحين قد يجهلها بعضنا..

١ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرضت على الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده»[٣].

فهذا رسول مسدَّد مؤيَّد دعا إلى الله تعالى فلم يستجب له أحد، وآخر دعا فاستجاب له خمسة فقط، وثالث استجاب له عشرة فقط، وهكذا.

٢ وعن خبّاب رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّد بُردةً وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟! فقعد وهو مُحْمَر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم يُمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضَع المنشار على مفرق رأسه فيُشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتِمنّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[٤].

يخبر رسولنا ﷺ أن نفراً ممن كان قبلنا لم يصدهم التخويف ولا العذاب الشديد عن دينهم؛ بل ثبتوا عليه وجاهدوا من أجله حتى لقوا الله تعالى

٣ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (١٤٠/٨).
٤ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (٥٦/٥).

٣ عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي رضي الله عنه

وهو صحابي كريم، ثبت في موقف عظيم، قل أن يثبت فيه إلا الموفقون. وقد ساق الإمام البيهقي رحمه الله تعالى قصته، فذكر أن عمر رضي الله تعالى عنه وجّه جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة، فأسروه، فقال له ملك الروم: تنصّر أشركك في ملكي. فأبى. فأمر به فصُلب، وأمر برميه بالسهام[٥] فلم يجزع، فأُنزل، وأمر بقِدر فصبّ فيها الماء، وأغلى عليه، وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يتنصر، فلما ذهبوا به بكى، قال: ردوه، فقال: لم بكيت؟

قال: «تمنيت أن لي مائة نفس تُلقى هكذا في الله». فعجب فقال: قبّل رأسي وأنا أخلّي عنك. فقال: «وعن جميع أسارى المسلمين»؟ قال: نعم. فقبّل رأسه فخلّى عنهم. فقدم بهم على عمر، فقام عمر فقبّل رأسه[٦].

وذكر ابن عساكر تفصيلاً لقصته فيه فائدة فقال: جهز عمر بن الخطاب جيشاً إلى الروم وفيه رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي، فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تنصّر وأشركك في ملكي وسلطاني؟

٥ أي لغرض تخويفه لا قتله، كما سيأتي في الرواية التالية.

٦ ساق القصة عن البيهقي الإمام ابن حجر في الإصابة (٢/٢٨٨).

قال له عبد الله: «لو أعطيتَني جميع ما تملك وجميع مملكة العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين.. ما فعلتُ»! قال: إذَن أقتلك! قال: «أنت وذاك». قال: فأمر به فصُلب وقال للرماة: ارموه قريبًا من يديه، قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأُنزل، ثم دعا بقِدر فصبّ فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فأُلقى فيها، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يُلقى فيها، فلما ذُهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى فظن أنه جزع، فقال: ردوه. فعرَض عليه النصرانية فأبى، قال: فما أبكاك إذَن؟

قال: «أبكاني أني إن قُتلت فهي نفْس واحدة تُلقى الساعة في هذه القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفْس تَلقى هذا في الله». فقال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ قال له عبد الله: «وعن جميع أسارى المسلمين»؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي: «عدو من أعداء الله فأقبّل رأسه يخلّي عني وعن أسارى المسلمين.. لا أبالي»، فدنا منه فقبّل رأسه، قال: فدفع إليه الأسارى، فقدِم بهم على عمر فأخبر عمر بخبره، فقال: «حق على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ»، فقام عمر فقبل رأسه.

فكان أصحاب رسول الله ﷺ يمازحون عبد الله فيقولون: قبّلت رأس علج![٧] فيقول لهم: «أطلق الله بتلك القُبلة ثمانين من المسلمين»!

وفي حديث آخر قال الملك: اتركوه واجعلوه في بيت ومعه لحم خنزير مشوي وخمر ممزوج، فلم يأكل ولم يشرب، وأشفقوا أن يموت، فقال: «أما إن الله عز وجل قد كان أحلّه لي ولكن لم أكن لأشمتك بالإسلام»[٨].

---

٧ العِلج: الرجل من كفار العجم، انظر (لسان العرب): ع ل ج.
٨ انظر (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر)، (١٢/١٠٥-١٠٦).

٤ ولما تمكّن العبيديون[٩] الملاحدة من بلاد المغرب ومصر فعلوا الأفاعيل في أهلها، لكن نفراً من الصادقين ثبتوا واحتسبوا، وانظر إلى ما يذكره الإمام الذهبي عن حال الإمام القدوة الشهيد أبي بكر محمد بن أحمد الرملي والمعروف بابن النابلسي، حيث قال له جوهر الصقلي قائد العبيديين: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهماً وفينا تسعة!

قال: «ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيّرتم الملة وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية». فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًا فسلخه وحُشي تبناً، وصُلب[١٠].

٥ وذكَر الإمام الذهبي أن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه[١١] أربعة آلاف، من عالم وعابد ليردهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت[١٢].

وأما التاريخ الحديث فيزخر ويفخر بمئات من المجاهدين، المسلمين الصابرين الثابتين على الحق، حتى قضوا نحبهم وما بدّلوا ولا غيّروا، والحديث عنهم يطول لكن حسبي أن أورد ثلاثة أمثلة:

---

٩ هم الذين أسسوا الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، وادّعوا زوراً النسب الشريف، وفعلوا الأفاعيل في بلاد المسلمين، وكان بعض حكامهم كفرة واضح كفرهم؛ كـ(الحاكم) الذي ادعى الألوهية، والعياذ بالله!

١٠ نزهة الفضلاء، (١١٥٩/٢).

١١ أي العبيديون الملاحدة الذين سبق ذِكرهم في الفقرة السابقة.

١٢ المصدر السابق (١٠٨٤/٢).

٦ أما الأول فهو: أحمد ساموري توري

هذا بطل إفريقي اعتنق الإسلام عن يقظة وإيمان، ثم مضى ينشر عقيدته الخالدة في القبائل الوثنية في جنوب السنغال وجامبيا، وعلى شواطئ نهر النيجر الأعلى وروافده حتى ألف بحجته الباهرة ودليله المقنع أمة إسلامية مزمنة تهيم بالإسلام عن دراسة واقتناع.

كافح الإمام في ميدان الدعوة حتى انتصر، ثم حمل السيف مع شيعته لينازل المستعمرين الفرنسيين حين قدموا إلى بلادهم يحملون الصواعق والقذائف، ويسلطون على الأبرياء الآمنين كوارث العدوان وفظائع الإرهاب، وجعل الإمام الأعزل يجمع الصفوف ويلهب العزائم، ويجمع الذخيرة مما ينهبه من سلاح المعتدين، حتى كتب في سجل النضال صحيفة ناصعة تعبق بأريج العزة وتضيء بنور الإيمان.

لقد التحمت كتائب البطل الباسل بشراذم الفرنسيين في كفاح مرير ضاق به القائد الفرنسي (أرسيناد)، ومرت ست سنوات ولم يتقدم شبراً واحداً في ميدانه، ومن قبله قاسى الكولونيل (برنى دى بورى) كؤوس الهزيمة مترعة قاتلة، ورأى المعتدون أن القتال وحده لا يفضي إلى نصر سريع، فأعملوا الحيلة حتى اختطفوا نجل الإمام ليفتّوا بذلك في عضد أبيه، ولكنه قال لمن ساوموه على افتدائه: «إن ولدي لن يزيد عن مسلم عادى كهؤلاء الذين تحصدون أرواحهم دون حياء، فإذا كنتم تتوهمون أن اعتقاله سينهي الحرب فقد أسأتم التقدير».

ثم واصل جهاده مستميتاً في الكفاح، ويئس الفرنسيون من النصر السريع فاحتالوا ثانية على اكتسابه، وعمدوا إلى النجل الأسير فاستمالوه بلذائذ النعيم وطرائف الرفاهية، وبعثوا به إلى باريس ليرى البهجة والنضارة واللذة والعربدة فينتشي بما زين الشيطان من إثم، ويستكين لما أبدع الباطل من خداع، حتى إذا قطع الشوط إلى نهايته ساوموه على مخالفة أبيه والعمل على إنهاء الحرب ليصبح الوالد ملكاً مشمولاً بالحماية الأجنبية، ثم ليكون الابن من بعده ولي العهد وحليف الاستعمار، ورجع الشباب المغرور متحمساً للخيانة النكراء، وبدأ بالسعي إلى استمالة الضعفاء لوجهته، فأدرك الإمام حقيقة ما كان، والتهبت في صدره عاطفتان قويتان عاطفة الأبوة ذات الحنان والسماح، وعاطفة الإسلام ذات القمع للباطل والانتقام للحق، فآثر دينه ووطنه، ثم حكم على ابنه بالإعدام السريع جزاء خيانته ومروقه، وبادر فأوقع الجزاء على رؤوس الأشهاد في ثقة وإيمان[١٣].

٧ وأما المثال الثاني فهو: الشيخ المجاهد عمر المختار

الذي تربى في الزوايا السنوسية في ليبيا، ثم وقف نفسه لنصرة الإسلام والذب عن حياضه، خاصة بعد دخول الإيطاليين ليبيا سنة ١٩١١م، حيث جاهد الشيخ الكفار جهاداً عظيمًا قرابة عشرين سنة لم يتوانَ ولم يتذبذب، بل ثبت ثباتًا عظيمًا مشرفًا، حتى إذا ألقي القبض عليه سنة ١٩٣١م أظهر ثباتًا عظيمًا حال التحقيق معه، على أن سنه كان قد جاوز السبعين، لكن ثباته كان مضرب الأمثال.

---

١٣ من مقال الأستاذ محمد رجب البيومي، بعنوان: الإسلام فوق كل اعتبار، نُشر في مجلة الأزهر (٣٣/٢)، ١٣٨١هـ.

واستمع أخي القارئ كيف قُبض عليه وما جرى بينه وبين الحاكم العسكري الإيطالي في ليبيا:

كعادته ذهب في نفر قليل يقدر بأربعين فارساً يستكشف العدو ويتفقد مراكز إخوانه المجاهدين، ومرّ بواد صعب المسالك كثير الغابات وعلمت به القوات الإيطالية بواسطة جواسيسها، فأمرت بتطويق الوادي.

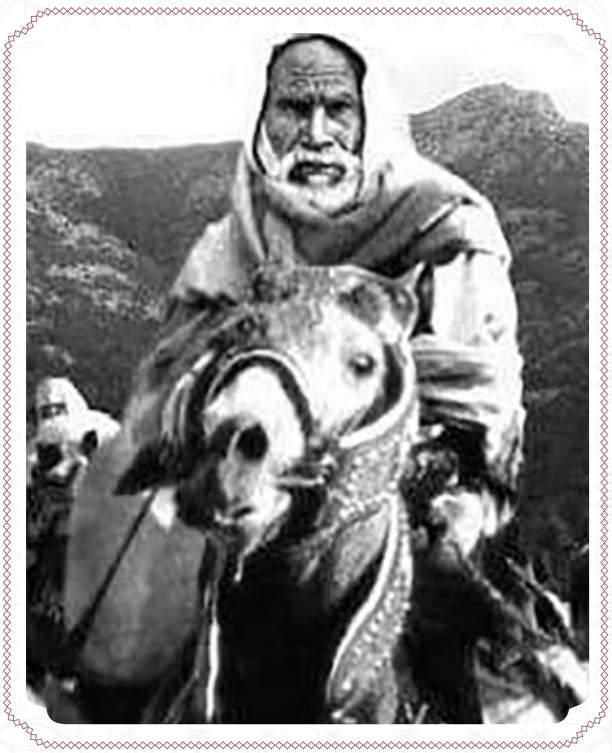

فما شعر المختار ومن معه إلا وهم وسط العدو، ودارت معركة، وعلى الرغم من كثرة عدد العدو واحتياطاته تمكن المجاهدون من خرق صفوفه، ففاجأتهم قوة طليانية أخرى، وكانت ذخيرتهم على وشك النفاد فاشتبكوا في معركة جديدة قُتل فيها جميع من بقى مع المختار، وقُتل حصانه أيضاً ووقع عليه، فتمكن من التخلص من تحته، وظل يقاتل وحده إلى أن جُرح في يده، ثم تكاثر عليه الأعداء وغُلب على أمره، وأسروه وهم لا يعرفون من هو، ثم عُرف وأرسل إلى سوسة، ومنها أركب الطراد (أوسيني) إلى بنغازى حيث أودع السجن، وعزا المختار في حديثه عند قدومه إلى بنغازي سبب وقوعه في الأسر إلى نفاد ذخيرته، وأكد للمتصرف الإيطالى أن وقوعه فى الأسر لا يضعف شيئًا من حدة المقاومة إذ إنه قد اتخذ من التدابير ما يكفل انتقال القيادة من بعده إلى غيره.

وختم المختار قوله بكلمات خالدات لابد أن نلقنها لأبنائنا جيلاً بعد جيل لتكون مثلهم الأعلى فى التوكل على الله والثبات على الحق، فقال إن القبض عليه ووقوعه في قبضة الطليان إنما حدث تنفيذاً لإرادة

المولى عز وجل، وأنه قد أصبح الآن أسيراً بأيدى الحكومة، فالله سبحانه وتعالى وحده يتولى أمره، ثم أشار إلى الطليان وقال: «وأما أنتم فلكم الآن وقد أخذتمونى أن تفعلوا بي ما تشاؤون، وليكن معلوماً أني ما كنت في يوم من الأيام لأسلم لكم طوعاً»[١٤].

وحدث مرة أن خرج إلى القاهرة من (برقة) لغرض من أغراض الجهاد فاجتمع إليه مشايخ من قبيلة في مصر في قلوبهم ضعف العزيمة ويأس الشيوخ، وجعلوا يحاولون أن يثنوه عن عزمه وجهاده بسبب بلوغه سن الشيخوخة، فغضب وقال لهم: «إن كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيراً لي، لأن ما أسير فيه إنما هو طريق الخير، ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن سلوكه، وكل مَن يحاول ذلك فهو عدو لي»[١٥].

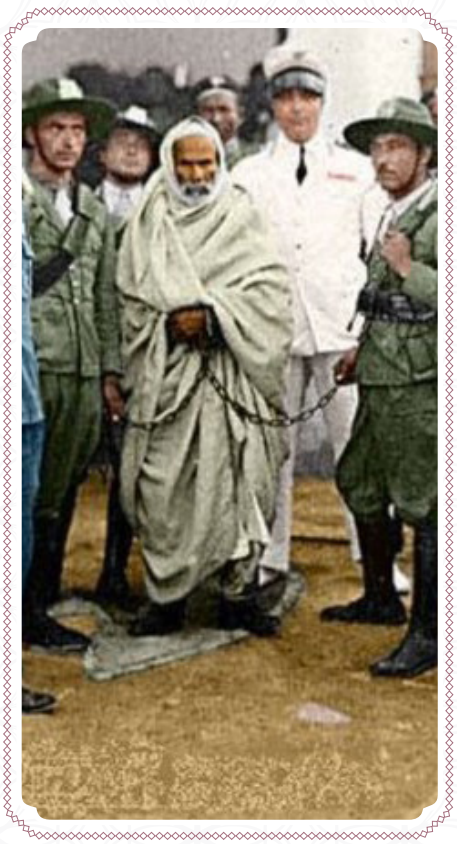

وأختم بموقف جميل له أثناء التحقيق معه، إذ خاطبه «جرازياني» قائد الحملة الصليبية الإيطالية في ليبيا، وكان عمر المختار آنذاك ٧٣ سنة.

هل سمعت ما ينسب إليك من تهم خطيرة؟

نعم، وسأجيب عنها كلها واحدة واحدة مهما كبرت وخطرت.

وانطلق المختار يقص مأساة ليبيا منذ الاحتلال، والمفاوضات التي دعاه إليها رجال الاحتلال، والوعود الكاذبة والنكث بها، وتكلم عن الظلم والطغيان والاغتصاب وانتهاك الحرمات وتحقير المقدسات.

هل أنت قائد العصيان ضد إيطاليا؟

---

١٤ (القدوة الصالحة)، ١٨٥-١٨٦.

١٥ (القدوة الصالحة)، ١٨٨.

نعم، أنا هو.

هل حاربت الدولة الإيطالية؟

نعم حاربتها.

إني أكرر السؤال عليك فانتبه لنتائجه: هل حاربت الدولة الإيطالية فتناولت السلاح في وجه قواتها واشتركت في قتالها فعلياً؟ كم هو عدد المعارك التي اشتركت فيها من سنة ١٩١١ حتى اليوم[١٦]؟

نعم نعم نعم. لا أذكر عددها لأنها كثيرة لا تُحصى.

منذ كم تتولى قيادة العصيان؟

منذ عشر سنوات.

وعلى هذا المنوال سارت المحكمة كلها.. وكان جرازياني قد عرض عليه عفواً شاملاً لقاء أن يكتب للمجاهدين يدعوهم إلى وقف القتال وتسليم أنفسهم وأسلحتهم للحكومة، فرفض المختار قائلاً إن هذا العمل لا يُرضي ضميره ودينه[١٧].

ثم أُعدم بعد ذلك ثابتًا راسخاً مؤمنًا، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

---

١٦ وهي سنة الاحتلال الإيطالي البغيض.

١٧ (القدوة الصالحة)، ١٨٩-١٩١، بتصرف.

٨ وأما المثال الثالث فهو الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى

فقد لحق بربه شاهداً على الطغيان، حيث حاول الظالمون محاولات جاهدة يائسة للحصول من سيد قطب على موقف تراجع، أو كلمة اعتذار، أو عبارة اعتراف مما نُسب إليه، أو صيغة تأييد.. وعَرضوا عليه مغريات مادية كثيرة، وساوموه مساومات عديدة، منّوه أن يعطوه كل ما يريد من متع دنياهم، ولكنه استعلى على هذه المغريات.. وآثر أن يذهب إلى ربه شهيداً عزيزاً كريماً، اختار الدار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، وأطلق عبارات تقطر عزة وكرامة، وإيمانًا ويقيناً، وثباتًا واستعلاء، منها قوله:

«إن حكمت بحق فأنا أرضى حكم الحق، وإن حكمت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل».

وقوله: «إن إصبع السبابة الذي يدين الله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفًا يقر به حكم طاغية»[١٨].

ولو ذهبت أستقصي صور الثبات على الحق عند المجاهدين المسلمين في هذا العصر لأتيت بالعجب العجاب، لكن حسبي ما أوردته مثالاً على ما أردته، وهل الصحوة التي ننعم بها إلا نتاج ذلك الثبات العظيم؟

---

١٨ (مدخل إلى ظلال القرآن)، ٢٥.

م. خالد حربي
فك الله أسره*

محرقة الأطفال في غزة
«هكذا يقول رب الجنود»

يا أمتي.. من أحالنا مسخًا قميئًا، ونعلًا وطيئًا لكل طاغية؟

«لماذا لا يزور الموت أوطانًا سوانا؟» شطر بيت من شعر همس بي يحاكي دمعي المرتعد في عيني..

يا لله في غزة المجيدة، الأرض تسكر من دماء الأبرياء وتغص من دموع الثكالى المكلمين أشلاء أطفالنا! هل هذه حقيقة؟

* خالد حربي: مقال: محرقة الأطفال في غزة هكذا يقول رب الجنود، موقع إلكتروني: طريق الإسلام، ٢٠٠٨م.

ينهمر الدمع حارًّا غزيرًا، وكأنّه يهرب كي لا يرى ما لا يطيق رؤيته.

يقفز من صدري نداء للراحلين. أيّها الزهرات «لا تتركوا الأرض الحزينة للضباع».

تَتَحدثُ لي الزَهراتُ الجميلة أن أَعينُها اتَّسَعَتْ -دهشةً- لحظةَ القَطْف، لحظةَ القَصْف، لحظة إعدامها في الخميلة!

أفيق من صدمتي على صوت الفاسقة (جولدا مائير) قبل سنين بعيدة يقول برنة شيطان: «أحيانًا يجافيني النوم عندما يخطر ببالي أن طفلاً فلسطينيًّا قد وُلِد».

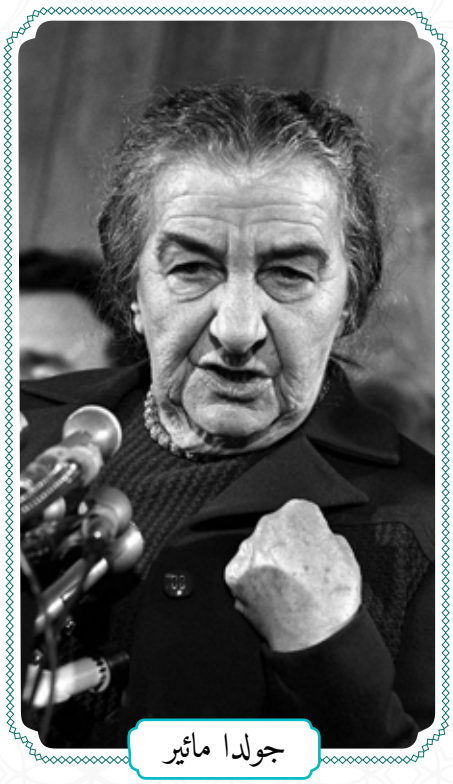
جولدا مائير

وهذا تفسير الجريمة ولا أدري لماذا نسينا؟

لماذا نسينا من انتزع من تربتنا الحمرية العذراء بذور الحياة؟

مَن اغتصب من دوحة الزيتون أزهارنا بكل القسوة والفجور؟

وتجيب الأسئلة: «هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا». [سفر صموئيل الأول، إصحاح ١٥:٢-٣].

أفيق على الحقيقة القاتلة، لقد نسينا جميعًا أنّهم اليهود، خدعتنا بشرتهم الصفراء وعيونهم الملونة، ونسينا أنّهم اليهود.

وتسرقني ثانية الأشلاء الطائرة.. فلا صوت يعلو فوق صوت المجزرة.

باسم رب الجنود يقول القتلة: «٥ وقال لأولئك في سمعي اعبروا في المدينة وراءه واضربوا لا تشفق أعينكم ولا تعفوا ٦ الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي فابتدئوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت ٧ وقال لهم نجسوا البيت واملئوا الدور قتلى اخرجوا فخرجوا وقتلوا في المدينة». [سفر حزقيال، إصحاح ٩:٣-٦].

أتذكر ما قاله هنري برجسون: «لقد وُجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة».

وهذه حقيقة ديانة اليهود كما يقول إفكهم المهور بإمضاءات المحرفين:

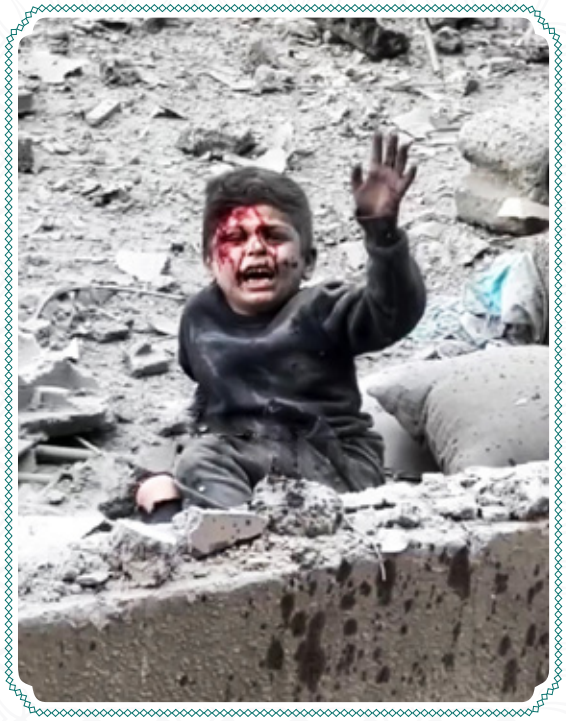

هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: «يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!» [مزمور ١٣٧:٨-٩].

وتزكم أنفي راحة الموت في ارتجافة الرياح..

تفر من ضراوة المجازر..

فلا يبقى حولي سوى صوت الفسقة..

هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: «١٥ كل من وجد يطعن وكل من انحاش يسقط بالسيف ١٦ وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم». [سفر إشعياء - إصحاح ١٣- ١٥].

هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: «تجازى السامرة؛ لأنّها تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تحطم أطفالهم، والحوامل تشق».

[سفر هوشع إصحاح ١٣ : ١٦].

هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: «حِينَئِذٍ ضَرَبَ مَنَحِيمُ تِفْصَحَ وَكُلَّ مَا بِهَا وَتُخُومَهَا مِنْ تِرْصَةَ. لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْتَحُوا لَهُ. ضَرَبَهَا وَشَقَّ جَمِيعَ حَوَامِلِهَا».

[سفر الملوك الثاني، إصحاح ١٥:١٦].

وبين سِفر وسفر من كتابهم الذي دنس كل طهر عرفته البشرية، يطل علينا رأس صاروخ لقيط ينهش التاريخ.. ينهش الوجدان.. ينهش الأوطان، رأس ينهش الأقوات والآمال والأفراح، حتى حرارة الأحزان.

هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: «فَالآنَ اقْتُلُوا كُل ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُل امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. كِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ». [سفر العدد ١٥:١٣-١٨].

«قَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: اهْتِفُوا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ وَهَبَكُمُ الْمَدِينَةَ. وَاجْعَلُوا الْمَدِينَةَ وَكُلَّ مَا فِيهَا مُحَرَّماً لِلرَّبِّ.. فَانْدَفَعَ الشَّعْبُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ كُلٌّ إِلَى وِجْهَتِهِ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. وَدَمَّرُوا الْمَدِينَةَ وَقَضَوْا بِحَدِّ السَّيْفِ عَلَى كُلِّ مَنْ فِيهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ وَشُيُوخٍ حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ». [سفر يشوع: ٦ : ١٦].

يا أمتي..

استرشد اليهود بدينهم فهل تذكرين أنّه كان لك دين؟!

يا أمتي..

من أحالنا مسخًا قميئًا، ونعلًا وطيئًا لكل طاغية؟

يا أمتي..

على خدنا لكل كف علامة..

ونحن في ابتسام وبلاهة..

مستعرضين عرينًا..

من كل أثواب فريق الكرة.

يا أمتي..

أما تألمين لطفلة سُفِكَ دمها فترحل عن الحياة، ولم ترَ فيك سوى أمة من العبيد؟

ولا تحزني يا صغيرتي النازفة..

إنهم لم يسمعوا بك، لم يشعروا بك..

ربما لم يسألوا عن قاتليك..

أتدرين لمَ؟

ليس الفضول من طبائع الكلاب!

إنّهم حتى لم يلقوا إلى أمك ما يكفي من المال لشراء نعش أو كفن..

أتدرين لمَ؟ لأن حجارتك الطاهرة كانت سترجم خزيهم يا صغيرتي النازفة..

عِندما ترحلين عن سَاحةِ القَومِ، لا تلقي السَّلامْ..

لأنهم الآن يتقاتَلون فوقَ صِحَافِ الطعام..

بعد أن أشعَلوا النارَ في العشّ..

والقشّ..

والسُّنبلة!

وراحوا يذبحونكِ..

بحثًا عن كرامات فريق الكرة!

وغدًا تَغْتَدي مُدُنُ الألفِ عامْ!

مدنًا للخِيام!

مدنًا ترتقي دَرَجَ المقصلة!

د. عبد الرحمن البر

فك الله أسره*

الثبات على الحق أول النصر

١ النصرُ في ميدان النفس أولاً

قيل للإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَل -رحمه الله- أيامَ محنةِ خلْقِ القرآن: يا أبا عبدِ الله، ألَا تَرَى الحق كيفَ ظَهرَ عليه الباطلُ؟! فأجابَ: «كَلّا، إن ظُهُورَ الباطلِ على الحقِّ أنْ تَنتقلَ القلوبُ من الهُدَى إلى الضلالةِ، وقُلوبُنا بَعْدُ (أي لا تزال) لازمةٌ للحقّ».

عبد الرحمن البر، مقال: الثبات على الحق أول النصر، موقع إلكتروني: جماعة الإخوان المسلمين- الأردن، يونيو ٢٠٢١م.

إنَّ ثباتَ المؤمنِ على مبدئِه، هو انتصارٌ كبيرٌ وفوزٌ مبينٌ، حيث يعلُو على الخوفِ والجُبنِ، ويتَسَامَى على نوازعِ النفسِ وشهوةِ الراحةِ، ويواجِهُ تهديداتِ الباطلِ وشدائدَ المحنِ وسقوطَ القامات والهامات، بشجاعةٍ وصبرٍ وثباتٍ ويقين. والإمامُ أحمدُ عندما ثبتَ على مبدئِه في المحنة، ورفضَ الاستجابةَ لجميعِ الضغوطِ ومحاولاتِ دفعِه للتراجُع كان في قمةِ انتصارِه.

بل لا سبيلَ إلى تحقيقِ انتصارٍ في أيِّ معركةٍ قبلَ الانتصارِ في هذا الميدان، فألْفُ معركةٍ خاسرةٍ في ميادين النزاع لا تعدِلُ خسارةً واحدةً في ميدانِ النفس، ولله دَر المرشدِ الأمينِ الذي قال: «ميدانُكم الأوَّلُ أنفسُكم، فإنْ عجزتُم عنها فأنتم عما سواها أَعْجَزُ، وإنْ قَدَرْتُم عليها فأنتم على ما سواها أَقْدَر».

٢ في أنباءِ التاريخ شاهدٌ لو تعلمون

نعم، لقد كان إبراهيمُ عليه السلامُ في قمةِ الانتصارِ والظالمون يقُولون ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾، وهو لا يُبَالي، وكَانَ آخِرَ قَوْلِه حِينَ أُلْقِيَ فِي النارِ: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

وكان غلامُ أصحابِ الأخدودِ في قمة انتصارِه حين قَالَ لِلْمَلِكِ: «إِنكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ"، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: "تَجْمَعُ الناسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُم ضَعِ السهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُم قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُم ارْمِنِي، فَإِنكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي». فَجَمَعَ الناسَ

فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ! ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ.

وكان أصحابُ الأخدودِ هم المنتصرينَ وهم يُلْقَوْن في النار، ويرفضونَ المساومةَ على الحقِّ الذي آمنوا به، ويُفضّلون الموتَ في سبيلِ الله على الخضوعِ لأهواءِ الظالمين، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ، اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

وكان ثباتُه ﷺ على دينِه في مواجهةِ كلِّ الإغراءاتِ والضغوطِ التي وصلتْ إلى حدِّ إخراجِه من بلدِه ثانيَ اثنين انتصارًا أيّ انتصار ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾.

وربّى النبي ﷺ الجيلَ الأولَ الأكرمَ من أصحابِه على هذا المعنى: أن الانتصارَ أولُه الثباتُ على الدينِ، وعدمُ التراجعِ عن الحقِّ أو المساومةِ عليه مهما كانت العقباتُ والمعوّقات، قَالَ خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

وفي المحنةِ مع الإمامِ أحمدَ ثبت المُوَفَّقُونَ من علماءِ الحقِّ ثباتَ الجبالِ، وكتبت ابنتا صاحبِه عاصمِ بنِ عليٍّ من وَاسِطٍ لأبيهما: "يَا أَبَانَا، إنّه بلَغَنَا أن هذا الرجلَ (الخليفة) أخذَ أحمدَ بنَ حنبل فضربَه بالسوْطِ على أن يَقُول: القُرآنُ مخْلوقٌ، فاتقِ اللهَ ولا تُجِبْهُ إنْ سَألك، فواللهِ لَأَنْ يَأْتِينَا نَعِيُّكَ (أي الذي ينقلُ لنا خبرَ موتِك)، أحب إلينَا مِنْ أنْ يَأْتِينَا أنكَ قُلْتَ».

وقال أبو يَعقوب يوسف بن يَحيى البُوَيْطي وهو في قيوده: «والله لأموتنّ في حديدي هذا حتى يأتيَ من بَعدي قومٌ يعلمُون أنّه قد ماتَ في هذا الشأنِ قومٌ في حَديدِهم، وَلئِنْ أُدْخلتُ عليه لأصدُقنّه» (يعني الخليفة الواثق).

وفي العصرِ الحاضرِ كانَ ثباتُ سيد قطب -رحمه الله- في مواجهة كل الضغوطِ واستعلاؤُه على كل الإغراءات انتصارًا للحقِّ الذي عاشَ من أجلِه، واستُشْهِد في سبيله.

وكان -ولا يزال- ثباتُ أهل غزّةَ وفلسطين وعلى رأسهم الأسرى الأبطالُ والشهداءُ العظامُ أحمد ياسين والرنتيسي وفتحي الشقاقي وإبراهيم المقادمة ويحيى عياش وسعيد صيام وغيرهم، انتصارًا للمبادئ التي آمنوا بها.

٣ الثباتُ هو انتصارُ المبدأ، وهو المقدمةُ الحقيقيةُ للنصرِ في سائر الميادين

- فأما أبونا وسيدُنا إبراهيم عليه السلام، فنجّاه اللهُ من النار ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾، وبلغ ما أمّل حين قال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، وصارتْ مِلّتُه الحنيفيَّةُ هي الحق التي يتفاخرُ كلُّ مُدَّعٍ للحقِّ في هذا الوجودِ بالانتسابِ إليها، وشرّفَنا اللهُ بأنْ جعلَنا أَوْلَى الناس بها ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

- وأما عبدُ الله الغلامُ فعندما قتله الملِكُ الظّالمُ، حقَّق اللهُ أملَه، ونصرَ دعوتَه، فقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

- وأما نبيُّنا ﷺ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وأما أصحابُه الكرامُ فحينما ثبتوا للمحنِ والشدائدِ فتح اللهُ عليهم الآفاقَ، ودانتْ لهم الدُّنيا، ودخلَ الناسُ في دينِ الله أفواجًا.

- وأما إمامُنا أحمدُ بن حنبل ومن معه فارتفعوا وانتصر الحق الذي استمسَكوا به، وقد قال رحمه الله: «ما سمعتُ كلمةً منذ وَقَعْتُ فى الأمرِ الذى وقعْتُ فيه، أَقْوَى من كلمةِ أعرابيٍّ كلَّمَني بها، قال لي: يا أحمد، إنْ يَقْتُلْكَ الحَقُّ مُتَّ شَهِيدًا، وإنْ عِشْتَ عِشْتَ حَمِيدًا، قال: فَقَوَّى قلبي».

فكانَ كما قال، لقد رَفع اللهُ عزَّ وجلَّ شأنَ أحمدَ بنِ حنبل بعدَما امتُحِن، وانْجَلَت الغُمةُ، وعَظُم عندَ الناس وارتَفع أمرُه جدًّا، وصارتْ كلمتُه ترفعُ وتخفِض.

- وأما سيد قطب فبقِي هو مذكورًا بالشهادةِ، وطُوِي ذِكْرُ قاتله مصحوبًا باللعنات، ودبّت الحياةُ في كلماتِه وصارت كتبُه تملأُ مكتباتِ الدنيا، ويستضيءُ بها الأحرارُ في كلِّ مكان، بعد أن كان تداوُلُها سِرًّا، وكانت حيازتُها خطرًا، وهذا ما قصده رحمه الله عندما قال: «إنّ كَلِمَاتِنا ستَبْقَى مَيِّتةً: أعْراسًا مِن الشُّموع، لا حراكَ فيها، جامدةً! حتى إذا مِتْنَا مِن أجلِها، انتفَضتْ حيّةً، وعاشَتْ بين الأحياء».

- وأما أبناءُ القسّامِ والياسين والرنتيسي فلا يزالون يُسَطِّرُون كتابَ المجْدِ والعِزةِ والنصْرِ بدمائِهم الزكية وبُطولاتِهم الأُسطوريةِ وإبداعاتِهم العبقريةِ، التي قهرت الجيشَ الذي لا يُقْهَر(!)، وسيكتبُ التاريخُ أنهم أَوْلَى الناسِ بالخلودِ والتّمْجِيدِ، بما يكتبونَ من مستقبلٍ مَجِيدٍ للحقِّ والعدْل والحريّةِ في هذا العالَمِ الظالِمِ أهلُه.

٤ أيّها الثوارُ الأحرارُ اثبُتوا وأَبْشِروا

أما أنتم أيها الثابتون في ميادينِ ثورةِ الحُرِّيةِ والعَدالَةِ الاجتماعيةِ والكرامةِ الإنسانيةِ في ربُوعِ مصرَ المباركة، رغمَ المجازِرِ الوحشيةِ التي ارتكبها الانقلابيون الدمويون في رابعةَ والنهضةِ والحرسِ والمنصّةِ ورمسيس والمنصورةِ والاسكندرية وغيرها، ورغمَ الحَرْقِ للأحياءِ وللمساجد، ورغمَ البطشِ الأمنيِّ الانقلابيِّ، ورغمَ الأحكامِ الجائرةِ المنسوبةِ زُورًا للقضاء، ورغمَ القصفِ الإعلاميِّ الأحمقِ الخؤون؛ فإنَّ ثباتَكم وصُمودَكم واستمساكَكم بالحقِّ، واستمراركم في ثورتِكم السلميةِ، وإبداعَكم في حراكِكم الرائع؛ لهو في ذاته نصرٌ مبينٌ، وإرهاصٌ وبشيرٌ بالنصرِ العظيمِ للخيرِ على الشرِّ، وللحقِّ على الباطلِ، وللفضيلةِ على الرَّذيلةِ، قريبًا إنْ شاء الله ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

أ.د رشاد البيومي

فك الله أسره*

حسن البنا شهيد فلسطين

ستون عامًا مضت على استشهاده، ولا زالت قضية فلسطين تشغل الجانب الأكبر من فكر أبنائه وتلاميذه، بل إن رواد المقاومة التي أثبتت أن صمودها وثباتها أمام العالم أجمع لم يكن إلا وليد عقيدتها وفكرتها التي استمدت من انتمائها واعتناقها لفكر الشهيد حسن البنا.

لقد كانت الأحداث الجسام التي واكبت السنين الأخيرة من العقد الرابع والخامس في القرن الماضي شاهدًا على تلك الملحمة، التي وإن تناستها كتب التاريخ المزيف إلا أنها ثابتة في سجلات التاريخ الإنساني بأحرفٍ من نور وبجلاءٍ لا يمحوه الزيف.

* رشاد البيومي، مقال: حسن البنا شهيد فلسطين، موقع إلكتروني: نافذة مصر، ٢٠٠٩م.

لقد كان للشهيد البنا دوره في إحياء فريضة الجهاد عملاً وقولاً.. فما أن نادى مناديه عام ٣٦، ٤٨ حتى قام يشحذ الهمم ويُذكِّر بالواجب، وبحث في أمهات الكتب ليستخرج فضل الجهاد وقيمة الشهادة ليقدمها لأبنائه ليكونوا وقودًا لمعركة الشرف والكرامة.

ولا زلت أذكرها واقعًا لا يغيب عني رغم مرور السنين؛ حيث كنت في بلدي سوهاج عام ١٩٤٨م وذهبت لصلاة الجمعة في أكبر مساجدها.. لأرى (مندهشًا) خطيب المسجد الأخ أنور محروس- رحمه الله- يعتلي المنبر مرتديًا لباسه العسكري، وتحدث عن فضل الجهاد وعلو منزلة الشهيد، فأفاض وشد الحضور بأسلوب عميق المعنى جزل اللفظ، وما أن انتهت الصلاة إلا والتفَّ الناس حوله يكبرون ويهللون «الله أكبر ولله الحمد»، وإذا بالتبرعات العينة والنقدية تُقدَّم إليه في تجردٍ ورغبةٍ صادقةٍ للمساهمة في الجهاد.

ونزل صاحبنا عن المنبر ليستعرض المتطوعين.. الذين نطقت وجوههم بحب الجهاد والرغبة في الشهادة (بعضهم باع بيته وآخر باع جاموسته ليشارك في الجهاد).. يا له من مشهدٍ محفور في الذاكرة رغم مرور السنين.

ولم تمض أيام إلا وأستاذنا مدرس التربية الرياضية صاحب الرجولة والفتوة والنقاء (المرحوم صلاح البنا) يُعلن سفره للمشاركة في حرب فلسطين وحملناه على الأكتاف مودعين إلى محطة القطار، وهناك دوَّى الهتاف الحبيب «الله أكبر ولله الحمد»، وعرفنا عندئذٍ أنه من (الإخوان المسلمين).

حدثتني نفسي أن أكون مع هذا الركب الأمين وحال دون ذلك أني كنتُ في الثالثة عشرة من عمري، ولكن كانت هذه هي بوابتي إلى (جماعة الإخوان)، ومدخلي إلى هذه الفئة المجاهدة حتى يومنا هذا.

ونذكر هنا ويذكر التاريخ أن (الإخوان) في فلسطين أدوا دورهم وأبلوا بلاءً شهد له قواد الجيش في فلسطين (اللواء صادق واللواء المواوي وغيرهما)، ويكفي أن نقول إن الإخوان في تقدمهم كانوا على بُعد أميالٍ من تل أبيب.. ويا للأسف.. كالعادة خذلتهم أمتنا العربية.. ولما حوصرت قوات الجيش في الفالوجا.. كان لأخينا الكريم رحمة الله عليه الفارس الصاغ معروف الحضري الفضلُ في كسر الحصار وتوصيل المدد إلى الجيش (كان أحد أفراده جمال عبد الناصر)، ويكفي في هذا شهادة قائد القوات المحاصرة (الضبع الأسود سيد طه).

وهنا أحسَّ أعداءُ الإسلام أن هذه الجماعة تُمثِّل الخطر الأعظم على مصالحها في المنطقة، وأن الصحوة الإسلامية التي تقودها الجماعة سوف تُدمِّر مخططاتها الاستعمارية. فدُبِّرت المؤامرة، وحيكت خيوطها بليلٍ، واجتمع سفراء أقطاب الشر إنجلترا وفرنسا وأمريكا في فايد وباتفاق وتخطيط مع رئيس وزراء مصر حينئذ (محمود فهمي النقراشي) تم الاتفاق على حلِّ الجماعة ومصادرة أموالها (تصورا بذلك أنهم سيقضون عليها).

وعاد المتطوعون من الإخوان من فلسطين إلى معتقل الطور، وكللت مساعي المتآمرين باغتيال الشهيد حسن البنا في ١٩٤٩/٢/١١م، وفاضت روحه إلى بارئها تشكو ظلم الظالمين.

لم يكن يدري هؤلاء الشياطين أن دعوة الله باقية، وأن الحق لا بد منتصر، وأن أبناء حسن البنا الذين ربَّاهم على قيم الجهاد في سبيل الله سوف يرفعون الراية من بعده مهما صادفهم من عقبات ومهما حيكت لهم المؤامرات، بل هذا يزيدهم إيمانًا بدعوتهم وتوكلهم على ربهم.. ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

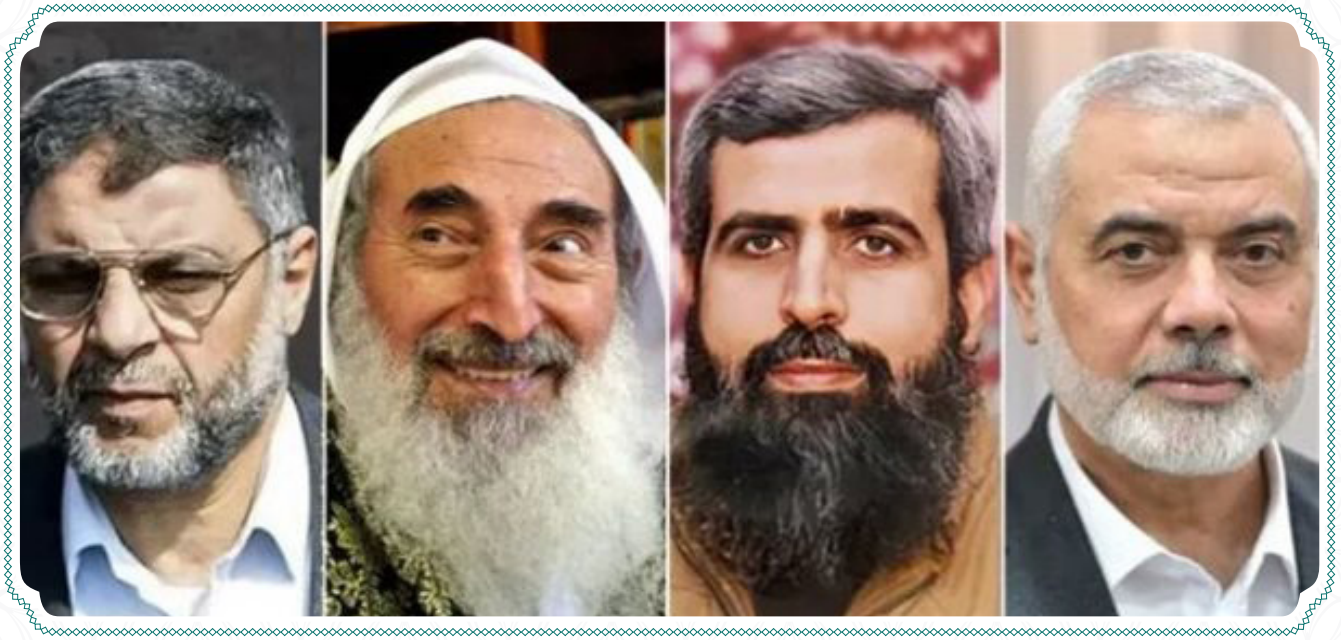

وها هي صفحات التاريخ تتوالى، ويدور الزمن دورته، وتتكالب قوى الشر على أبناء فلسطين البواسل، ويُحال بينهم وبين أدنى متطلبات الحياة.. ويخرج من بين ظهرانيهم الشهيد أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي (تلاميذ حسن البنا)، ويسلموا الراية لإسماعيل هنية وإخوانه من الفصائل المقاومة.. وتعلو كلمة الله، ويتحقق بهم الثبات والصمود والنصر.. وتتحقق معهم الآمال.

ونعود لنذكر شهيدنا العظيم حسن البنا.. فلا نملك له إلا الاعتراف بالفضل والدعاء الخالص أن يُلحقنا به في الشهداء أو الصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

د. علي بن عمر بادحدح
فك الله أسره*

من دروس التضحية والثبات

المثل الأعظم الذي سنجعل وقفتنا معه، هو المثل الذي تتقاصر دونه الأمثلة، والشجاعة التي تظهر كل شجاعة دونها بمراحل، شجاعة النبي ﷺ، القدوة العظمى في التضحية لهذا الدين والثبات عليه والدعوة إليه.

لما دارت الدائرة على المسلمين في أُحد بعد نزول الرماة، وبعد أن كانت الجولة لهم، واشتد الاختلاط في صفوف المسلمين، وبدأت المعركة ينفرط عقدها، كان النبي ﷺ في تسعة نفر من أصحابه، وكان من المتبادر إلى أذهان أهل الضعف والخور، أو إلى أذهان أهل السلامة أن من الأصلح له أن ينسحب

---

* مقتبس من: د. علي عمر بادحدح، غزوة أحد درس التضحية والثبات، موقع إلكتروني: الشبكة الإسلامية.

بهذه الكوكبة حتى يرجع إلى المدينة، حتى يسلم أصحابه أو حتى يسلم هذه الأمة، لكن النبي ﷺ كان مضرب المثل والقدوة. كان علي بن أبي طالب يقول: «كنا إذا احمرت الحدق، وحمي الوطيس؛ نتقي برسول الله ﷺ». كان دائماً هو المقدَّم ﷺ، فماذا صنع في ذلك الموقف؟

صاح ﷺ: «يا عباد الله! هلموا إليّ أنا رسول الله». وهو يعلم أن صوته سيُسمع عند المشركين قبل المسلمين، وكان الأمر كما كان، لقد سمع المشركون هذا النداء، وكان يعلم النبي ﷺ أن هذا سيسمع وأن الجموع ستجمع، وأن الجيوش ستتوجه نحوه ﷺ، لكنه أراد أن يبين للأمة أن الثبات في الجيوش بثبات قياداتها، وأن المضي بمضي كرامها، ولذلك نادى هذا النداء العظيم ليقول كما قال بعد ذلك في يوم حنين:

أنا النبي لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب

فما كان له ﷺ أن يتخلف عند مواضع التقدم، أو أن يتراجع في مواضع الثبات ﷺ.

نادى هذا النداء ثم تجمعت الجيوش من حوله، فكانت صورة رائعة من صور تضحية الصحابة وفدائهم قلّ أن يجود التاريخ بمثلها مطلقاً، لذلك تجمّع أولئك القوم حول النبي ﷺ، حتى شجّ وجهه الكريم، وسال دمه على جبهته، ودخلت حلقات المغفر في وجنتيه، وكسرت رباعيته ﷺ، حتى قال ﷺ في هذا الموقف: «كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم؟».

درس لنا كيف ضحّى النبي ﷺ وهو أشرف الخلق أجمعين؟ وبذل لأجل هذا الدين، وخاض غمار المعارك حتى سال دمه ولقي الموت؟ ونحن نريدها هينة سهلة، لو كانت هينةً سهلةً لكانت لرسول الله ﷺ، ولو كان الإكرام للصلاح لكان أحق المكرمين هو رسول الله ﷺ، ولو كان النصر يُهدَى لأحد لأُهدي إلى رسول الله ﷺ، ولكنه درس للأمة أنه لا يمكن أن ترفع لها راية، ولا أن تقوم لها قائمة، ولا أن ينتشر دينها، ولا أن تقوى قوتها وتعظم سيادتها إلا بالبذل والتضحية في سبيل الله عز وجل، والثبات على هذا الدين، فلذلك رسم النبي ﷺ هذه الصورة المشرقة الرائعة في الثبات والتضحية في سبيل الله عز وجل حتى كان موئلاً تجمع حوله الصحابة من جديد، وانتهت المعركة نهاية مشرفة، وقد كان من الممكن أن تكون نهايتها أسوأ وأعظم شراً في الهزيمة على المسلمين، ولذلك ضرب النبي ﷺ المثل والقدوة من نفسه.

فإذا كان الرسول ﷺ قد دمي وجهه، وكسرت رباعيته؛ فما على أحد بعده أن يصيبه في سبيل الله عز وجل ما هو أشد وأعظم وأنكى من هذا.

نسأل الله عز وجل أن يجعل لنا في رسوله ﷺ أسوة حسنة، وأن يجعلنا ممن يتأسون بأصحابه رضوان الله عليهم!

مَن يأخذ هذا السيف بحقه؟

نادى النبي ﷺ في يوم أحد ورفع سيفه: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فتنادى له الصحابة رضوان الله عليهم وتسابقوا إليه، فقال النبي ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» قالوا: وما حقه يا رسول الله؟!

قال: «أن يقاتل مقبلاً غير مدبر»، فتراجع بعضهم لا جبناً وإنما خوفاً أن يقصروا بالوفاء، فتقدم له أبو دجانة وقال: أنا يا رسول الله!

وورد في بعض روايات السيرة أن الزبير تقدم له فمنعه منه النبي ﷺ وأعطاه لسماك بن خرشة (أبو دجانة) رضي الله عنه، فلما أخذه عصب على رأسه عصابة حمراء فقالت الأنصار: عصب أبو دجانة عصابة الموت! وظل يمشي مشية مختالة، فقال النبي ﷺ: «إن هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن». لأنه موطن إعزاز للإسلام والمسلمين، فماذا صنع أبو دجانة رضي الله عنه؟ عندما أخذ السيف وبدأت المعركة صار ينادي:

أنا الذي عاهدني خليلي .. ونحن في السفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول .. أضرب بسيف الله والرسول

ثم فلق به هام المشركين، وشق صفوفهم، وخاض في الموت، وفي حمام الهلاك وهو يجندلهم عن يمينه وشماله، قال: حتى خلصت إلى فارس يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا هو امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن تُضرب به امرأة، وكانت هذه هند بنت عتبة رضي الله عنها فقد أسلمت فيما بعد وحسن إسلامها، كانت قد تلثمت وحاربت، وكانت من أشجع المحاربين في تلك

المعركة، قال الزبير في بعض روايات السيرة: فرأيت فارساً لا يجد أحداً من المسلمين يزفف -أي: في آخر الرمق- إلا وأجهز عليه، فقلت: لعله يلقاه أبو دجانة، فما زلت أنظر حتى التقيا، ثم رفع أبو دجانة سيفه ولم يُمضِه، فنظرت فإذا هي هند بنت عتبة. وهكذا فعل أبو دجانة رضي الله عنه.

أسد الله حمزة

نأتي إلى موقف آخر لحمزة أسد رسول الله ﷺ، ذاك الذي كان الموت يتربص به في ميدان المعركة، لكنه مات غيلة وغدراً، كان رضي الله عنه قد فلق الهام، وقطع الرقاب، وشق صفوف المشركين شقاً، ثم لم يصمد له أحد، ولم يستطع أحد أن يواجهه، حتى جاء وحشي رضي الله عنه (وقد أسلم فيما بعد وصار من الصحابة) لم يكن عنده مهمة في هذه المعركة إلا أن يغتال غيلة وغدراً وخسة ودناءة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فظل يكمن في أماكن معينة حتى أصاب منه غرة فأنفذ فيه حربته فقتله لوقته رضي الله عنه وأرضاه.

أنس بن النضر مثال الإقدام والثبات

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه وأرضاه يقول قبل المعركة، وهو الذي فاتته غزوة بدر، وفاتَه شرف تلك الغزوة العظيمة، يقول: «لئن أشهدني الله عز وجل يوماً كيوم بدر لَيَرَيَنّ ما أصنع»!

قَسَم عظيم يُبرز فيه هذا الصحابي الجليل أنه سيبذل وسيضحي وسيثبت ويقدم لهذا الدين ما تقر به أعين المسلمين، وما يرضى به عنه الله رب العالمين، يقول ذلك لا قولاً رخواً وهو متكئ على أريكته، ولا يقول ذلك وهو في مجلس اللهو واللعب، وإنما يقوله مقسماً بالله عز وجل في مواطن الجد والعز.

فلما جاءت المعركة وجاءت هذه الدائرة، مر أنس رضي الله عنه ببعض الأنصار وقد سرت شائعة قتل النبي ﷺ بعد أن تجمع حوله المشركون وحصل ما حصل، فمر أنس ببعض الأنصار وقد قعدوا على هامش المعركة، وسألهم: ما بكم؟ قالوا: أما شعرت أن محمداً ﷺ قد مات؟ فقال كلمات تسجل في صحائف التاريخ، وتخلد في ذاكرة المسلمين، وتنقش في قلوبهم صوراً محفورة لا تنسى من صور الثبات والتضحية، ومعرفة المنهج، ووضوح الرؤية عند الصحابة رضوان الله عليهم، قال: «فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ»!

لئن مات النبي ﷺ فما قيمة الحياة بعده؟ ولئن أهينت المقدسات، وانتهكت الأعراض، واعتدي على الدين فما قيمة الحياة؟ هل يبقى المسلم في هذه الحياة ليأكل وينكح مثل بقية الأنعام والدواب والهوام؟ إن المسلم أجل وأرفع من أن تكون هذه غاياته، إنه صاحب مهمة ورسالة يقدم حياته كلها لأجل رسالته وإعلاء رايتها، فإن أصيب في دينه أو في رسالته، فإنه لا يمكن أن يرضى بالذل في هذه الحياة، ولا يمكن أن يبقى ساكناً وادعاً، بل ينبغي أن يتحرق قلبه، وتتحرك جوارحه، وينطق لسانه، وتنطلق أقدامه، وتنفق أمواله، ولو

اقتضى الأمر أن تبذل مهجته وروحه في سبيل الله عز وجل كما فعل الصحب الكرام رضوان الله عليهم، ونداء أنس رضي الله عنه ينادي كل المسلمين: «قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ».

ثم مضى أنس رضي الله عنه إلى ميدان المعركة، مضى إلى الغبار المثار، إلى السيوف التي تبرق في الضحى، إلى الأعناق التي تقطع، والدماء التي تسيل؛ فلقيه في أثناء مسيره سعد بن معاذ فقال له: «إلى أين يا أبا عمرو؟!» فسطر أنس رضي الله عنه أيضاً الجواب بكلمات عظيمة: «واهاً لريح الجنة، والله إني لأجدها دون أُحد».

قوم أيقنوا بما أخبر الله عز وجل به، واستيقنوا بما أخبر به الرسول ﷺ، وعلموا أن طريق مرضاة الله إنما تكون من طريق إعزاز دين الله عز وجل، ونصر عباد الله، وعدم رضى الذل لدين الله عز وجل.

«واهاً لريح الجنة، والله إني لأجد ريحها دون أحد»، ثم انطلق رضي الله عنه، قال سعد: «فما استطعت أن أمضي مضيه، ولا أن أفري فريه، فمضى يقتل ويضرب حتى استشهد رضي الله عنه وفي جسمه بضع وثمانون ما بين ضربة سيف أو طعنة رمح أو موضع سهم، حتى ما عرف وجهه، وإنما عرفته أخت له ببنانه أو شامة».

لم يعرف من شدة ما أصابه من ضرب! قال بعض الصحابة: «فأحصيت ما به من ضربات فلم أجد في ظهره منها ضربة قط». كان مقبلاً غير مدبر، ولم تأتِه الضربات من ظهره؛ لأنه لم يولّ ولم يهرب، وإنما كان مضحياً ثابتاً.

ولذلك ضرب مثلاً عظيماً من أمثلة التضحية والثبات على دين الله عز وجل..

اللهم عليك بسائر أعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، اللهم استأصل شأفتهم، ودمر قوتهم، اللهم اجعل بأسهم بينهم، وفرق كلمتهم، واجعلهم غنيمة للمسلمين!

اللهم إنا نسألك رحمتك ولطفك بعبادك المؤمنين المضطهدين والمعذبين والمشردين والمبعدين والأسرى والمسجونين والجرحى والمرضى في كل مكان يا رب العالمين! اللهم امسح عبرتهم، وسكن لوعتهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، عراة فاكسهم، خائفون فأمنهم، جائعون فأطعمهم، مشردون فسكنهم، اللهم ارزقهم الصبر والثبات واليقين!

الشيخ خالد الراشد
فك الله أسره*

قوة وثبات المسلمين

يوم كنا عظماء

«حُفت الجنة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات".. والطريق مليء بالمصائب والآلام، وليس بالطريق المفروش بالورود والأزهار، والسلعة غالية، لذلك كان لا بد أن يكون الثمن غاليًا؛ ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٥] كل ذلك في سبيل الثبات، في سبيل النصرة، نصرة هذا الدين.

---

* المقال مقتبس من محاضرة للشيخ خالد الراشد بعنوان: قوة وثبات المسلمين يوم كنا عظماء، موقع إلكتروني: يوتيوب، منشور في ١٢-٢-٢٠٢٤م. تحرير مجلة أنصار النبي ﷺ.

خُذ من دمائنا اليوم حتى ترضى

لقد بذلوا الأنفس والمهَج والأموال، تأتي الأخبار أن النبي ﷺ بعد أن أرسل رسله إلى الشام، تطاولت الروم على رسله، وقتلت مجموعة من الرجال دخلوا الشام للدعوة إلى الإسلام سلمًا، ثم الغساسنة تطاولوا على رسول رسول الله ﷺ فقتلوه، فحز ذلك واشتد على النبي ﷺ فأرسل إليهم ثلاثة آلاف رجل حتى تعلم فارس والروم أن في المدينة رجالاً يذودون عن حياض هذا الدين، ويصونون أعراض النساء..

جهّز النبي ﷺ الجيش، ورتب الإمارة، وساروا على بركة الله ووصلوا مؤتة، ثم سمعت الروم بأخبارهم فخرجت مرتزقة الروم العرب بمائة ألف، وخرج نصارى الروم بمائة ألف، فاجتمعا في ذلك اليوم على الثلاثة آلاف أكثر من مائتي ألف مقاتل، أسألكم بالله ماذا يستطيع ثلاثة آلاف من الرجال أن يفعلوا أمام هذا العدد الكبير؟ ماذا يستطيع أن يفعل هؤلاء أمام مائتي ألف من الرجال لو طوقوهم من كل الجهات، أما ينتهي الأمر في ساعات بل أقل من ذلك؟

تشاوروا فيما بينهم: هل نرجع؟ هل نرسل إلى النبي ﷺ نخبره بواقع الحال؟ فقالوا فيما بينهم: أنتم لماذا خرجتم أصلًا؟ وماذا تطلبون؟ وماذا تريدون؟ ألستم طلاب جنة؟ فهذه الجنة قد فتحت أبوابها! الجنة تحت ظلال السيوف! فقالوا: **لا طريق إلى المدينة، إما النصر وإما الشهادة.. إما الجنة، وإما الانتصار.**

فأعدَّوا العدة ودخلوا قرية يُقال لها مؤتة، وسميت المعركة باسمها، تحصنوا في داخلها، على مدى ستة أيام حرب ضروس، والروم بعددها وعُدَدها تحاول أن تنتصر على هذه القلة، فما استطاعت ستة أيام من الكر والفر، في اليوم السادس قُتل زيد، وفي نفس اليوم قُتل جعفر، وفي نفس اليوم قُتل عبد الله بن رواحة.

في المدينة التف الصحابة رجالًا ونساءً يتابعون الأخبار حيةً على الهواء! يتابعون أخبار الجيش الذي يقاتل من أجل نصرة الإسلام والمسلمين.. أريدك تخيل الواقع اليوم، التفوا حول نبيهم يتابعون أخبار المسلمين، والنبي ينقل لهم أخبار المعركة حية على الهواء وحيًا، واليوم نجلس أمام الشاشات، ونجلس أمام القنوات حتى نتابع أخبار المباريات، هذا الفرق بين الأمس واليوم، هم التفوا يتابعون أخبار المسلمين وهم ينصرون الله عز وجل وينصرون رسوله ﷺ، ونحن اجتمعنا على شاشات وقنوات في ضياع لا يعلمه إلا الله!

قال لهم النبي ﷺ وهو ينقل لهم أخبار المعركة: «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً». ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال ﷺ: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً». ثم قال ﷺ: «لقد رفعوا إليّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب...»[1].

---

١ ابن كثير، البداية والنهاية، غزوة مؤتة.

تعالوا نرجع إلى أرض المعركة، فبعد سقوط القادة الثلاثة، حمل الراية ثابت بن أقرم وجعل يصيح: يا للأنصار! فجعل الناس يثوبون إليه، فنظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان. فقال خالد: «لا آخذه! أنت أحق به.. لك سن وقد شهدتَ بدراً». قال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك![٢]

لم يمضِ على إسلام خالد حينها إلا ثلاثة أشهر، خالد الذي خاض المعارك ضد المسلمين، وصنع بهم ما صنع يوم أحد، اليوم يخوض أول معركة مع الإسلام رافعًا راية لا إله إلا الله.

ثم نادى ثابت بالجيش وقال: أترضون بخالد بن الوليد قائدًا عليكم؟ قالوا رضينا، فتولى خالد الإمارة، وحمل الراية، ثم صعد أعلى مكان في المعركة، وميّز الأرض، وميّز المواقع، وغيّر الميمنة والميسرة، والمقدمة والمؤخرة، وبدأ يصول ويجول في المدينة.

وبعد أن نعى النبي ﷺ زيداً، وجعفراً، وابن رواحة للناس قال: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[٣].

وقد حمى الوطيس، حمي بمعنى الكلمة، القتال حينها لم يكن كالقتال اليوم، قتال الجبناء، قتال الفرّار الذين يرمون القنابل، ويهاجمون النساء والأطفال، بل كان الرجل يواجه الرجال، فتطاير الرؤوس، وتتقطع الأشلاء، لك أن تتخيل في ذلك اليوم تعداد المسلمين ثلاثة آلاف، وهم يواجهون أكثر من مائتي ألف! يعني كان مطلوبًا من الرجل الواحد أن يواجه سبعين رجلًا من الكفار، أسألك بالله من أين استمد القوة؟ وأي صنف من الرجال هؤلاء؟

أولئك آبائي فجئني بمثلهم •• إذا جمعتنا يا جرير المجامع

٢ ابن الجوزي، صفة الصفوة.

٣ صحيح البخاري.

● بأصناف هؤلاء الرجال تنتصر الأمة على العدد والعدة.

يوم أن استغاث أبو عبيدة رضي الله عنه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب المدد، أرسل له أربعة، قال له: «أرسلت لك أربعة كل واحد بألف»، ومرة أخرى أرسل له رجلًا واحداً هو المقداد بن عمرو، وقال عمر لقائد المسلمين هناك: أرسلت لك رجلًا سمعت النبي ﷺ يقول عنه: «جيش فيه المقداد لا يهزم بإذن الله».

كم نحتاج إلى قراءة سيرة أولئك الرجال، كم نحتاج أن نعيد ماضي أولئك الآباء والرجال!

غيّر خالد الميمنة والميسرة، وبدأ يصول ويكر مع الرجال والأبطال، حاولت الروم أن تطوّق المسلمين ما استطاعوا، في اليوم الأخير من المعركة غيّر خالد الموازين، وأرسل رجالًا خلف الجيش يثيرون الغبار، ويكبّرون ويملأون أرض المعركة بالتكبير، خافت الروم قالوا على مدى سبعة أيام ونحن نقاوم لم نستطع، الآن وقد أتاهم مدد من المدينة كيف نستطيع أن نقاومهم؟

ثم بدأ خالد مع مائة من الرجال يصولون ويكرّون، حتى أوقعوا فيهم مقتلة لم تشهدها الروم من قبل، ثم بدأ يسحب الرجال من أرض المعركة بخطة عبقرية عجيبة يشهد له التاريخ بها حتى يومنا هذا، فأخرج الجيش من أرض المعركة، بعد أن أدب الروم، وبيّن لهم أن بالمدينة رجالاً يذودون عن حياض هذا الدين.

لذلك قال الله عز وجل عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا * وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣-٧٤] الباطل من احتفالات وأعياد ما أنزل الله بها من سلطان، أفراحنا في انتصارات المسلمين لا في اللهو واللعب والضياع، كانوا يحتفلون بانتصاراتهم في بدر والقادسية واليرموك، فأين انتصارات المسلمين اليوم؟ يقول قائلهم: رفعنا راية لا إله إلا الله في ملاعب الكرة، بعد أن كانت تُرفع في أرض القتال! رفعها الرجال.. كانوا أصحاب عاهات وإعاقات، لم تحُل بينهم وبين الوصول إلى الجنة.

عمرو بن الجموح أعرج شديد العرجة يأتي إلى أبنائه حتى يشهد معركة أُحد مع المسلمين، فيقولون له: أنت من أهل الأعذار وقد عذرك الله! فيجادل أبناءه ويجادلونه في ردّه عن القتال، فيذهبون به إلى النبي ﷺ، ويخبره النبي ﷺ أنه من أهل الأعذار، فيقول بأعلى صوته: «يا رسول الله والله لأطئنّ بعرجتي الجنة»!

والله لن تحول إعاقتي بيني وبين الجنة! وقد صدق فيما قال، وكان من شهداء هذا اليوم، لما رأى النبي ﷺ صدقه قال: «خلوا بينه وبين ما يريد».

قد تقول أعرج.. بل أقول لك بل الأعمى! فليس الأعمى أعمى البصر، لكن العمى عمى البصيرة، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، يوم أن نادَى

عمر بخروج جيش اليرموك، خرج ابن أم مكتوم، خرج مع الخارجين ولبس عدة القتال، فقال له عمر: إلى أين؟ قال: يا ابن الخطاب تحول بيني وبين الشهادة؟ قال عمر: ماذا تصنع معهم؟ قال: أُكثّر سواد المسلمين! فإن لم تكن معهم فلا تكن ضدهم، لا تحارب أهل الاستقامة، إن لم تستطع أن تفعل فعلهم فلا تكن ضدهم.. خرج فلما صفت الصفوف لم يقف مع المتأخرين خلف الصفوف، بل توسط أرض المعركة، وقال لهم: «أنا أكفيكم الراية».

أنا أحمل راية لا إله إلا الله في أرض المعركة لا في الملاعب والمدرجات، أحملها والدماء تسيل والأشلاء تتطاير، أتدري معنى حمل الراية؟ من أصعب المهمات في أرض المعركة أن تحمل الراية، فكل فريق يسعى لإسقاط راية الفريق الآخر.

وبدأت الرياح والنبال تأتي يمنةً ويسرةً، وهو قد رفعها ثابتًا راسخًا في أرض المعركة، بدأت المعركة مع طلوع الشمس، تعداد المسلمين أربعون ألفًا يزيدون أو ينقصون، تعداد الفريق الكافر مائتان وأربعون ألفًا، لم يأتِ مغيب شمس ذلك اليوم إلا وقد حُسمت المعركة، أوقع المسلمون في الروم في ذلك اليوم مقتلة بلغت أكثر من مائة وعشرين ألفًا من الكفار! وصلّى خالد في آخر اليوم في خيمة قائدهم.

كانوا يساومون المسلمين قبل دخول المعركة، طلب قائدهم ماهان خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعا في مصلحة لهم فقال ماهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلاد كم الجهد والجوع، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلاد كم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها.

يريد أن يكسر عزة المؤمن، وثبات الصادقين، فقال له خالد في عزة المؤمنين المستمدة من كتاب الله: «إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم. فجئنا لذلك». ثم كبّر خالد وكبّر الجيش معه.

يقول أحدهم لأبي عبيدة في أرض المعركة: إني قد عزمت على الشهادة ولقاء النبي ﷺ فأوصني. قال: أقرئ النبي مني السلام، وقل له: إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، أقرئ النبي مني السلام، وقل له جزاك الله خير ما جازى نبياً عن أمته، وقل له: إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً.

فأين الرجال اليوم؟

يا ويحنا ماذا أصاب رجالنا .. أو مالنا سعد ولا مقداد؟

هذا هو الأقصى يلوك جراحه .. والمسلمون جموعهم آحاد

لماذا يتساقط الناس أما الشهوات، أمام المغريات، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون؟

- **الذي يريد ما عند الله لا يهون ولا يضعف..**

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

لو كان النبي بيننا..
كيف ستُكتب السيرة من جديد؟

ملهم إبراهيم

تُعامل السيرة النبوية وكأنها مجرد أحداث تاريخية شُبعت بحثًا وتحقيقًا، دون أن نُمعن النظر في جوهرها التطبيقي، وكيف يمكن أن تكون منهاجًا حيًا يُنير واقعنا اليومي، لا مجرد سردٍ يُقرأ في الكتب. لم ندرسها كطريقة حياة، بل كقصص تُروى، ولهذا لم تصبح جزءًا من وعينا الجمعي كما ترسخت في نفوس الصحابة حين تعلموها من النبي ﷺ نفسه.

السيرة في مناهجنا.. الغائب الحاضر

لماذا لم تُدرّس السيرة للأطفال كما تُدرّس تحية العلم والشعارات الوطنية؟ لأن من يتحكم في صناعة الوعي يدرك أن بناء الأمم يبدأ بصغارها، ولهذا دُسَّت السموم في المناهج، حتى لا ينشأ جيل يسأل الأسئلة التي يخاف منها كل مستبدٍّ ومعتدٍ.

ماذا لو كان أطفالنا يتعلمون من الرسول ﷺ كما تعلم منه الصحابة؟

كانوا سيسألون بأسئلتهم البريئة والعميقة في آن واحد:

هل كان النبي ﷺ سيطل على الكعبة من برج الساعة في رمضان؟

هل سيصعد فوقها ليشرف على توسعتها، بينما تُستباح دماء المسلمين في الشرق والغرب؟ (حاشاه من ذلك).

ماذا سيقول لجنود الحدود الذين يحرسون الأرض؟ وهل سيعد من يحاول القدوم إليها غازيًا أم طالب حق؟

أيّ الدول الإسلامية اليوم ستكون دولته؟

وهل سيتفرق العرب من جديد؟

كم «مُسيلمة» سيبعث إليه برسالة يدّعي فيها أنه شريك في الأمر؟

هل كان سيرى في جامعة الدول العربية امتدادًا لـ حلف الفضول الذي نصر المظلوم، أم حلفًا آخر لا يُشبه إلا «لعقة الدم» و«نادي قريش»؟

لو طبّقنا السيرة.. لما أضعنا الطريق

لم تكن السيرة دروسًا نظرية، بل منهجًا لصناعة النهضة. لو أننا أحببناه حقًا واتبعنا خطواته، لما وجدنا أنفسنا نكرر أخطاء الماضي، ولما وقعنا في الفخاخ ذاتها التي سقط فيها الشريف حسين بن علي عندما حلم بـ«مملكة عربية» على أجزاء من أرض العرب، بدلاً من أمة موحدة كما أرادها النبي ﷺ.

أين سيكون النبي اليوم؟

لو كان بيننا اليوم، أين سيكون؟

في غزة، يحفر الأنفاق بيديه الشريفتين، ويشرف على بناء خندق جديد حولها، ويعد أصحابه بأنهم ظاهرون على عدوهم ولن يضرهم من خذلهم، ويقرأ عليهم: ﴿وَلِيُدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٧].

في دمشق، يعيد تأسيس الدولة، يكتب صحيفة جديدة للمدينة، ويعمر المساجد ليكون منطلق الدعوة والجهاد من جديد.

في الأسواق، يفتتح سوقًا بعيدًا عن الاستغلال الرأسمالي، يعيد إحياء الاقتصاد الإسلامي ليكون عادلاً ومنصفًا، لا رهينةً للبنوك الربوية والاستهلاك المفرط.

بين الناس، يحدثهم عن بدر وأحد، عن يوم حنين إذ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، عن فقه الأولويات، وعن أن التنافس ليس على الدنيا، بل على ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾.

في السياسة، يرسل عدة رسائل مفادها: «أسلم تسلم»، دون خوف أو تملق أو مواربة.

السيرة.. جسرنا إلى المستقبل

لهذا كله، حق علينا أن نجعل السيرة أسلوب حياتنا، لا مجرد قصص تُحكى في كتب التاريخ. أن نكون الجسر الذي يصل أطفالنا بتعاليم النبي ﷺ، حتى لو بالغ أعداؤنا في التغطية عليها، وحتى لو حاولوا تغييبها عن مناهجنا.

نحن بحاجة إلى تعليم السيرة تطبيقياً، يضمن أن تنشأ الأجيال القادمة على العدل والحق، حتى يكون لهم نصيبٌ من نور النبي، ورجاء شفاعته يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: ٨٨].

والحمد لله رب العالمين

علي جاد المولى
كاتب مصري

السيادة الجماعية أم الهيمنة المقنّعة؟
قراءة في مستقبل الشرق الأوسط

يشهد الشرق الأوسط تحولات جذرية تتجاوز الصراعات التقليدية وتعيد تشكيل خريطة النفوذ الإقليمي. في خضم هذه التحولات، ظهرت نظرية «السيادة الجماعية»، التي تفترض أن المنطقة تتجه نحو نظام جديد تتشارك فيه القوى الكبرى -مثل السعودية، الإمارات، تركيا، إيران، ومصر- في إدارة شؤون المنطقة، بترتيب يشمل دعمًا من روسيا والصين، ويمتص إسرائيل ضمن هذه المنظومة ككيان تابع لا مهيمن. لكن، هل هذه النظرية واقعية؟ وما الذي يدعمها؟ وما العوائق التي قد تحول دون تحققها؟

والأهم: كيف يمكن لأمتنا الإسلامية أن تستفيد من هذه التحولات بدلاً من أن تبقى مجرد متلقٍ للقرارات التي تُصنع خلف الكواليس؟

١ النظرية وأسسها: هل الشرق الأوسط يتجه نحو نظام جديد؟

يستند مؤيدو فكرة «السيادة الجماعية» إلى عدة مؤشرات، منها:

- **تقارب الخصوم الإقليميين:** شهدنا خلال السنوات الأخيرة تحولات غير متوقعة، كالتقارب السعودي-الإيراني برعاية الصين، وتحسن العلاقات بين تركيا ومصر، مما يشير إلى رغبة في تقليل الصراعات والانخراط في شراكات استراتيجية.

- **تراجع النفوذ الأمريكي:** سياسة الانسحاب التدريجي للولايات المتحدة من المنطقة، والتركيز على صراعها مع الصين وروسيا، سمح لقوى إقليمية بإعادة ترتيب أولوياتها وبناء تحالفات أكثر استقلالية.

- **تنامي الدور الروسي والصيني:** سواء عبر «البريكس» أو مبادرات الحزام والطريق، هناك محاولات واضحة لخلق نموذج اقتصادي-أمني جديد يُنهي عقودًا من الهيمنة الغربية المطلقة.

- **التعاون الأمني والاقتصادي المتزايد:** مشاريع ضخمة مثل الممر الاقتصادي الذي يربط الهند بالشرق الأوسط وأوروبا، تعزز من فكرة تقاسم الأدوار بين القوى الإقليمية لضمان الاستقرار.

- **محاولات إسرائيل لإعادة التموضع:** توسع إسرائيل في الجولان، وتعزيز نفوذها بين بعض الأقليات السورية، يوحي بأنها تدرك أنها على وشك خسارة دورها كحليف استراتيجي مهيمن للغرب في المنطقة، وتحاول فرض وقائع جديدة قبل أن تُجبر على التكيف مع النظام الجديد.

العوائق والتحديات: لماذا قد لا تتحقق هذه النظرية؟

لكن، على الرغم من هذه المؤشرات، هناك عقبات قد تعيق تحقق هذا النموذج:

- التنافس الجيوسياسي بين القوى الإقليمية: رغم المصالح المشتركة، فإن النزاعات العميقة بين إيران والسعودية، وتركيا ومصر، لم تُحل بشكل جذرياً، وما زالت المصالح تتصادم في ملفات مثل سوريا واليمن وليبيا.

- غياب مشروع موحد: لا يوجد حتى الآن إطار واضح يمكن أن يُترجم هذا التعاون إلى كيان منظم شبيه بالاتحاد الأوروبي أو حتى بتحالف فضفاض مثل «بريكس».

- استمرار النفوذ الغربي: رغم تراجع الولايات المتحدة، إلا أنها لا تزال تمتلك أوراقًا قوية عبر قواعدها العسكرية، وعبر نفوذها الاقتصادي والدبلوماسي الذي يمكن أن يستخدم لإفشال أي محاولة لإعادة ترتيب الإقليم خارج منظومتها.

الموقف الإسرائيلي: فكرة تحول إسرائيل من قوة مهيمنة إلى دولة تابعة يصعب تصورها حاليًا، لأنها ستقاوم بشدة أي نظام يجردها من نفوذها الاستراتيجي.

- الهشاشة الداخلية للدول الإقليمية: معظم القوى الكبرى في الشرق الأوسط تواجه تحديات داخلية، سواء اقتصادية أو سياسية، تجعلها غير قادرة على لعب دور القائد الإقليمي المستدام.

كيف نستفيد من هذه التحولات؟

سواء تحقق نموذج «السيادة الجماعية» أو ظل مجرد نظرية، فإن الأهم هو كيف يمكن للأمة الإسلامية أن تستفيد من هذه التغيرات بدلاً من أن تظل متلقية للقرارات. هناك عدة نقاط يجب التركيز عليها:

- بناء الوعي الاستراتيجي: لا يمكن للأمة أن تتعامل مع هذه التحولات دون إدراك عميق للواقع الجيوسياسي، وهذا يتطلب تعزيز الدراسات والأبحاث التي تركز على تحليل القوة والنفوذ في المنطقة.

- تعزيز القوة الاقتصادية: بدلاً من انتظار مخرجات التكتلات الإقليمية، يجب على الدول الإسلامية تعزيز التعاون الاقتصادي الحقيقي فيما بينها، وتقليل الاعتماد على القوى الخارجية.

- دعم مشاريع الاستقلال التكنولوجي: لا يمكن الحديث عن سيادة حقيقية دون امتلاك القدرة على التصنيع، والتكنولوجيا، واستقلال القرار الاقتصادي.

- تفكيك الخطاب الاستسلامي: فكرة أن الأمة لا تملك دورًا في تشكيل مستقبلها يجب أن تُرفض، فالتاريخ يُثبت أن الفاعلين الحقيقيين هم من يصنعون التغيير، وليس من يكتفون برد الفعل.

- عدم السقوط في فخ الاختيارات الصفرية: بدلاً من النظر إلى التحولات وكأنها إما «فشل كامل» أو «انتصار كامل»، يجب البحث عن فرص جزئية يمكن استغلالها لصالح الأمة، بغض النظر عن هوية اللاعبين على الساحة.

أي السيناريوهات أصلح لأمتنا؟

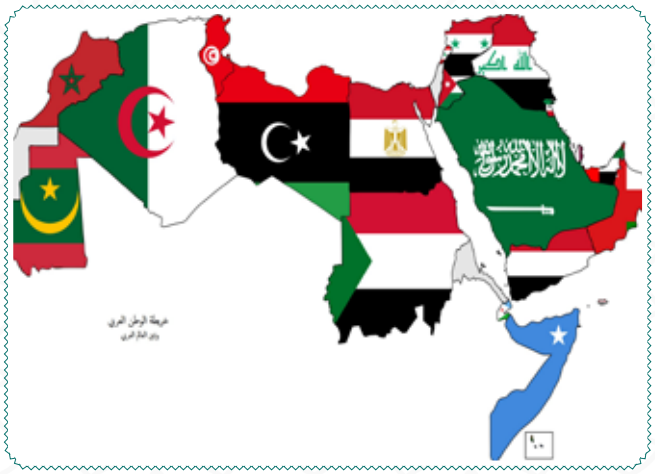

نحن أمام عدة سيناريوهات محتملة:

١ إذا تحقق نموذج «السيادة الجماعية»، فإن الأمة بحاجة إلى الانخراط فيه بذكاء، لضمان عدم تحول هذا النموذج إلى مجرد «إمبريالية إقليمية جديدة».

٢ إذا فشل هذا النموذج واستمرت الهيمنة الغربية، فإن البديل هو بناء تحالفات إسلامية أكثر استقلالًا، تعزز السيادة الحقيقية بعيدًا عن الاستقطاب الدولي.

٣ **إذا نجحت إسرائيل في فرض نفوذها عبر التخريب الداخلي لدول المنطقة، فإن التصدي لهذا المخطط يجب أن يكون أولوية قصوى، لأنه يمثل إعادة إنتاج لمشروع الهيمنة الصهيونية بأدوات جديدة.**

الخاتمة: صناعة المستقبل بدلاً من انتظاره

سواء كنا أمام «شرق أوسط جديد» أو مجرد إعادة ترتيب للنفوذ، فإن السؤال الأهم هو: هل سنكون جزءًا من صناعة المستقبل أم مجرد متلقين لما يُفرض علينا؟ التغيرات الكبرى ليست قدَرًا محتوماً، بل هي نتاج تفاعلات القوى المختلفة، ومن يملك الوعي، والإرادة، والقدرة على الفعل، هو من يحدد الاتجاه النهائي.

قد يكون أمامنا فرصة ذهبية لإعادة تشكيل موقع أمتنا في هذا النظام العالمي، لكن ذلك لن يحدث دون تخطيط، وعمل، ورؤية واضحة لما نريد تحقيقه، بعيدًا عن الشعارات والانفعالات العابرة. فالذين يصنعون التاريخ ليسوا أولئك الذين يراقبون الأحداث، بل الذين يستثمرونها ليُعيدوا رسم المشهد وفق ما يخدم مصالحهم.

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

السنة الثالثة العدد ٣٦
مايو ٢٠٢٥ ذو القعدة ١٤٤٦